الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 171735092665

العادات والتقاليد الجزائرية خلال العهد العثماني

"مدينة الجزائر أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: تاريخ الجزائر الحديث**

إعداد الطالبة:
خديجة بن شعبان

إشراف الدكتور:
إسماعيل تاحي

لجنة المناقشة			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
		المسيلة	رئيسا
إسماعيل تاحي	أستاذ محاضر-أ-	المسيلة	مشرفا ومقررا
		المسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾

سورة إبراهيم، الآية 07

وقال أيضا: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾

سورة النمل، الآية 19

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك يارب على ما أنعمت علينا من قوة الصبر في إنهاء عملي هذا

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والمحبة إلى كل من مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل طوال مسيرتي الدراسية وفي مقدمتهم الأستاذ المشرف الدكتور "تاحي إسماعيل" الذي مد لي يد العون وأعانني على إكمال هذا العمل بنصائحه القيمة وتوجيهاته ودعمه المعنوي ومنحني من وقته ووجهني وصوب أخطائي جزاء الله خيرا وأطال في عمره وحفظه ورعاه.

كما يسرني أن أتقدم بخالص الشكر إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل.

إهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار... إلى من علمني العطاء بدون انتظار...

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجوا من الله أن يرحمك يتقبلك من الشهداء

وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي رحمه الله

إلى سبيل العطف والحنان

إلى من سهرت من أجل راحتي وتألمت لآلامي

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أغلى الحبايب أمي جميلة

إلى إخوتي حفظهم الله ووفقهم في حياتهم وكتب لهم الخير

أهدي هذا العمل إلى أشخاص كانوا ملجئي وسندي واحتووني وقت الحاجة

ووقفوا إلى جانبي في أفراحي وأحزاني وقدموا لي الدعم في مختلف نواحي الحياة

وكانوا أسرتي الثانية حفظكم الله ووفقكم لما يحبه ويرضاه

أهدي هذا العمل إلى كافة الزملاء والزميلات في الدراسة ومن جمعتني بعهم

الأقدار

إلى كافة العائلتين الكريمتين دون تميز أو استثناء

خديجة

مقـــــدمة

مقدمة:

التعريف بالموضوع:

تعتبر الفترة العثمانية بالجزائر إحدى أهم الفترات التاريخية المتميزة، سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي أو العسكري أو الاجتماعي، وإذا كانت معظم الدراسات التاريخية قد تناولت بالبحث والتحليل الجوانب السياسية، الإدارية والعسكرية، ففي الوقت الذي دخلت فيه الجزائر تحت الحكم العثماني، أصبحت قوة عسكرية بحرية رادعة في البحر المتوسط، وتحولت أيضا إلى دولة لها تأثيرها في العلاقات الدولية، توقع اتفاقيات وتستقبل السفراء والقناصل، وتجاوزت بذلك مفهوم الأوروبيين لها على أنها مجرد إيالة تابعة للباب العالي.

وإذا كان –كما ذكرنا سابقا– أن هذا التحول قد مس الجانب السياسي والعسكري، فقد امتد تأثيره إلى الجانب الاجتماعي، فالمجتمع الجزائري في هذه الفترة كان قد عرف تحولا كبيرا، سواء تعلق الأمر بالتركيبة الاجتماعية أو بالعادات والتقاليد التي انتشرت في الجزائر في هذه الفترة، نتيجة إلى هذا التحول انتشرت في المجتمع الجزائري قيم وعادات جديدة تقبلها الجزائريون، كونها عادات لا تخالف الدين والعرف، وإذا كان الصعب الحديث عن كل هذه العادات فإننا على الأقل نحاول البحث في بعضها، ومنه جاء موضوعنا الموسوم بـ: "العادات والتقاليد الجزائرية خلال العهد العثماني مدينة الجزائر أنموذجا".

2–أسباب اختيار الموضوع:

هناك مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع كعنوان لمذكرتي:

أ–العوامل الموضوعية:

- إن الموضوع يدخل في صلب التخصص.
- أن معظم الدراسات التاريخية التي تناولت هذه الفترة ركزت على الجانب السياسي والعسكري، لكنها كانت بدرجة أقل في الجانب الاجتماعي.
- محاولة تسليط الضوء على بعض العادات والتقاليد الجزائرية في هذه الفترة.

- محاولة تقديم دراسة متواضعة ليستفيد منها الطلبة في قسم التاريخ.
- محاولة إبراز موقف الجزائريين من العادات الوافدة وموقفهم من الفئات الجديدة التي وصلت إلى الجزائر في هذه الفترة أو قبلها بقليل.
- تقديم دراسة موضوعية عن العادات والتقاليد الجزائرية انطلاقا من نظرة المستشرقين، وفي الوقت نفسه المؤرخين العرب والجزائريين.

ب-العوامل الذاتية:

- الميل لطرق مثل هذه المواضيع ذات الارتباط بالتاريخ الاجتماعي.
- بحكم دراستنا لمقاييس في التاريخ الاجتماعي في مرحلة الليسانس والماستر، فقد جلب انتباهي لهذا الموضوع.
- أن هذه العادات والتقاليد لا زالت منتشرة في المجتمع الجزائري إلى اليوم.

3-الإشكالية:

تتمحور إشكالية موضعنا حول العادات والتقاليد الجزائرية، وذلك بالبحث والتحليل لطبيعة المجتمع الجزائري والمستجدات التي طرأت عليه، محاولين تقديم تركيبة جديدة للمجتمع واستعراض أهم العادات والتقاليد التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة، ومدينة الجزائر خصوصا، ومدى ارتباط وتجانس هذه العادات مع الدين الإسلامي، وانطلاقا من هذه الفكرة نحاول طرح أسئلة فرعية منها:

- كيف كانت أوضاع مدينة الجزائر مع قدوم الأتراك؟
- ما هي أهم العادات والتقاليد التي انتشرت في المجتمع الجزائري في تلك الفترة؟
- إلى أي مدى تقبل الجزائريون هذه العادات؟ وكيف ساهمت هذه العادات في تماسك المجتمع الجزائري والنسيج الاجتماعي المتنوع في تلك الفترة؟

4-المنهج:

تطلب موضوعنا انتهاج المناهج العلمية التالية:

- المنهج التاريخي الوصفي الذي كان ضروريا تطلبه موضوع الدراسة أثناء جمع المادة وترتيبها زمنيا وفق ما يخدم الموضوع.
- المنهج التحليلي الذي استخدمناه في شرح وتحليل الأفكار والمعلومات المستقاة من المصادر والمراجع.
- توظيف المنهج الاجتماعي الذي استخدمناه تقريبا في كل فصول المذكرة التي تطلبت أرقام وإحصائيات تخدم الموضوع.
- استخدام المنهج التاريخي المقارن: واستخدمناه عندما تعرضنا لموقف ورؤية المستشرقين للعادات والتقاليد.

5-خطة البحث:

سمحت لنا المادة العلمية التي تمكنا من جمعها إلى تقسيم الموضوع إلى مقدمة، وفصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة، ومجموعة من الملاحق التوضيحية وقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، أسباب الاختيار، الإشكالية، المناهج المتبعة، الخطة وأهم المصادر والمراجع وصعوبات البحث.

بدأت بالفصل التمهيدي الذي كان لمحة تاريخية وجغرافية مختصرة عن مدينة الجزائر، تناولت فيه موقعها الجغرافي وتاريخ تأسيس هذه المدينة العريقة وأهم الفئات الاجتماعية الساكنة بها.

أما الفصل الأول، فقد تطرقت فيه إلى العادات اليومية لفئات مجتمع مدينة الجزائر، والذي جاء فيه عادة ارتياد المقاهي والحمامات، الطعام، واللباس وزيارة الأضرحة.

وتناولت في الفصل الثاني الاحتفالات الدينية وتضمن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الاحتفال بحلول شهر رمضان، وختم صحيح البخاري وختاما الاحتفال بالأعياد عيد الفطر وعيد الأضحى.

أما الفصل الأخير، فقد عالجت فيه المناسبات الاجتماعية كالزواج والاحتفال بالمولود الجديد والختان، ومراسيم الجنازة، وفي الخاتمة حاولت رصد مجموعة من النتائج التي توصلت إليها من خلال تناول الموضوع، وأرفقت الموضوع بمجموعة من الملاحق التوضيحية، مضاف إليها فهارس البيبليوغرافيا والموضوعات.

6-أهم المصادر والمراجع:

تم توظيف مجموعة من المصادر والمراجع المختلفة، سواء تعلق الأمر ببعض المؤرخين، القناصل والسفراء، وهي أقرب إلى المذكرات، ومن بين أهم المصادر في موضوعنا: هاديو في كتابه Topographie et histoire général D'Alger

وشالر بعنوان: وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)

سيمون بفايفر، لمحة تاريخية عن الجزائر، إضافة إلى مجموعة كبيرة من المراجع أهمها: كتب أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته، إضافة إلى كتب حنيفي هلايلي، وكذلك أيضا عبد القادر حليمي بعنوان مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، إضافة إلى مجموعة من الدراسات الأكاديمية.

7-صعوبات البحث:

كأي بحث علمي لا يخلو من عراقيل وصعوبات واجهتني

- تشابه المعلومات في المصادر والمراجع مما يصعب تصنيف وترتيب هذه المعلومات وفق ما يخدم الموضوع.
- أن معظم المصادر الهامة باللغة التركية، الإنجليزية والفرنسية.
- حالتي الصحية التي لم تسمح لي بالتفرغ أكثر للبحث.
- ضيق الفترة المخصصة لإنجاز المذكرة.

الفصل التمهيدي

التعريف الجغرافي والتاريخي لمدينة الجزائر

أولا: الموقع الجغرافي لمدينة الجزائر

ثانيا: نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر

ثالثا: فئات مجتمع مدينة الجزائر

قبل الدخول في صلب موضوع مذكرتنا، تجدر بنا الإشارة إلى التعريف بمدينة الجزائر تعريفا جغرافيا وتاريخيا، لأنه من الطبيعي قبل التطرق إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية ينبغي تحديد المكان أو الحديث عن الجغرافيا والتاريخ، لما لهما من تأثير على كل الجوانب ومناحي الحياة.

والحديث عن مدينة الجزائر يجرنا إلى تصفح كتب الجغرافيين والرحالة والمؤرخين الذين تناولوا دراسة هذه المدينة في حقب تاريخية مختلفة، وقبل هذا وذاك أن نشير إلى أصل تسمية مدينة الجزائر بهذا الاسم، وفي الحقيقة أن الجزائر قد عرفت عبر تاريخها الطويل الكثير من التسميات، ففي أقرب معنى لها أنها تعني مجموعة من الجزر البحرية، هذه الجزر التي تتمتع بحاصنة طبيعية من جهة، وبثروة من جهة أخرى، لذلك اختيرت أن تكون المدينة مركزا للسلطة الإدارية. تناوبت على حكم المدينة لتتحول مع مرور الوقت إلى عاصمة سياسية وإدارية للجزائر إلى غاية اليوم.[1]

ومن بين أشهر التسميات التي عرفتها المدينة التسمية الرومانية "إكوزيوم" وهي كلمة لاتينية مستمدة من اليونانية.[2]

أما العصر الإسلامي، فقد أخذت اسم جزائر بني مزغنة نسبة إلى إحدى بطون صنهاجة، وارتبط اسم المدينة بمؤسسها ومؤسس المدية وملیانة وهو بلكين بن الزيري.

وإذا كان الحديث يطول في هذا المجال، فإننا اختصارا نقول أن هذه الجزر الصخرية التي أصبحت تسمى الجزائر سكنتها واستوطنت بها قبيلة بني مزغنة إحدى بطونة صنهاجة، فسميت بجزائر بني مزغنة، وطوال الفترة الإسلامية ارتبط هذا الاسم بالجزائر أو

[1] – وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824م)، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص 72.

[2] – نيقولا زيادة، مدينة الجزائر، شؤون عربية، مجلة فكرية شهرية تصدر عن جامعة الدول العربية، ع29، جوان 1983، ص 123.

المغرب الأوسط إلى غاية بداية القرن 16م، حينما دخلت المدينة تحت الحكم العثماني، ومعها أصبحت المدينة تسمى بالجزائر أو سلطنة الجزائر.[1]

أولا: الموقع الجغرافي لمدينة الجزائر

تقع مدينة الجزائر على شاطئ بحري على هضبة نصف دائرية، يحدها البحر من الشمال ومنطقة التيطري ومتيجة من الجنوب، وتقع بين دائرتي عرض 36° و46° شمالا.

والحق أن تحديد مدينة الجزائر كإقليم يعتمد على مجموعة من المعايير منها المظهر الطبيعي، ممثلا في مياه الأمطار والأودية، والمعايير الاقتصادية، ونقصد بها الموارد الغذائية كالخضر والحليب وغيرها...، لذلك يكاد يتفق معظم الدارسين للمدينة على أن إقليم مدينة الجزائر يمتد من شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى جبال الأطلس البليدي جنوبا، أما من الشرق فيحتضن وادي الحراش وغربا وادي ماء زعفران (Mazafran)، وبذلك يشكل إقليم الجزائر مظهرين طبيعيين مختلفين، المظهر الأول سهلي والمظهر الآخر جبلي.[2]

وإذا كانت مساحة الإقليم تحددها المعايير الطبيعية والاقتصادية كما ذكرنا، فإن هناك معايير بشرية ترتبط بحركة السكان وتنقلاتهم تبعا لحاجياتهم خصوصا الماء، وهذه المعايير الأخيرة تجعل الإقليم في حالة مد وجزر، فهو يضيق في بعض الفترات، حيث لا يتجاوز حدود المدينة وضواحيها، بينما يتسع في فترات أخرى إلى جبال الأطلس البليدي، وذلك تبعا للظروف بشرية، تاريخية واقتصادية.[3]

ويشتهر الإقليم بوفرة مياهه، سواء تعلق الأمر بمياه الأمطار أو العيون المنتشرة في نواحي الإقليم إضافة إلى الأودية توفر مياه الشرب وسقي الأشجار، وعلى العموم فإن الإقليم

---

[1] – يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر القديمة والوسيطة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 14.

[2] – عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1972، ص 33.

[3] – نفسه، ص 02.

يسوده مناخ متعدل ليس ببارد في الشتاء ولا حار في الصيف، إذا استثنينا ارتفاع درجات الحرارة صيفا عند هبوب الرياح الجنوبية.[1]

أما عن تربة الإقليم، بغض النظر عن لونها الأحمر والأسود، فإنها تربة خصبة ساهمت في انتشار الزراعات ونمو الأشجار.[2]

ثانيا: نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر

بعد أن تطرقنا في المبحث الأول عن الجانب الجغرافيا والطبيعي لمدينة الجزائر، ننتقل في هذا المبحث إلى الحديث عن الجانب التاريخي للمدينة، ذكرنا سابقا أن مدينة الجزائر تعود في وجودها إلى فترات سابقة ضاربة في التاريخ القديم، مما جعل المدينة تتأثر في كل فترة من هذه الفترات، وقد تطرق لتاريخ المدينة الكثير من الرحالة، الجغرافيين والمؤرخين، فقد وصفها المؤرخ البكري في كتابه "المسالك والممالك" بقوله: «قديمة البنيان فيها آثار للأول وآزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم وصحن دار الملعب فيها فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء فيها صور الحيوان بأحكم عمل وأبدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون وكانت بمدينة بني مزغنة»[3]، وأضاف في نفس السياق قائلا: «كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيديين، مفصص كثير النقوش والصور».[4]

ويؤكد وصف البكري للمدينة ما ذكرنا سابقا، بأنها عرفت قدوم الكثير من الهجرات السكانية، سواء تعلق الأمر بالوافدين من وراء البحر أو نزوح القبائل من مناطق داخلية صوب المدينة.

[1] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 29.

[2] – نفسه، ص 28.

[3] – عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 67.

[4] – نفسه، ص 67.

فالمدينة حولها الفينيقيون إلى مركز بحري تجاري هام، لاستقبال وتسويق الكثير من المنتجات، واحتفظت المدينة بنفس الأهمية وبنفس النشاط التجاري عند قدوم الرومان، حيث أطلقوا عليها كما ذكرنا اسم "إيكوزيوم".[1]

ومع الفتح الإسلامي تحولت المدينة إلى إحدى مراكز استيطان قبيلة صنهاجة الأمازيغية تحديدا إحدى فروعها مزغنة، هذا الاسم الأخير الذي اتخذته المدينة كاسم لها، وتشير كتب المؤرخين إلى أن المدينة قد تعرضت إلى تخريب فيها نهاية العهد الروماني، حينما استلمها بلكين بن الزيري وأعاد صيانة مبانيها وأسوارها وتوسيعها ليعيد بريقها الثقافي والحضاري، وأهميتها التجارية والاقتصادية، وهو ما أشار إليه المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي نقلا عن ابن حوقل بقوله[2]: «جزائر بني مزغنة مدينة عليها صور في نحو البحر، وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كبيرة وأكثر أموالهم المواشي في البقرة الغنم، سائمة في الجبال»، وأضاف في نفس السياق قائلا: «ولهم من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين ما يقع به ولغيره من هذه الأسبان الجهاز إلى القيروان وغيرها ولهم جزيرة تحاذيها في البحر إذ نزل بهم عدو لحنوا إليها فكانوا بها في منعه وأمن».

وفي هذه الفترة، أي فترة حكم بني مزغنة شهدت المدينة تطورا كبيرا خصوصا الجانب العمراني، حيث تم بناء القصور والمساجد والحدائق التي كانت تهدف إلى تجميل وتزيين المدينة، إضافة إلى تطور التجارة التي أصبحت الجزائر مدينة ساحلية تتعامل مع الكثير من المدن الإسبانية، وهذه الحركة العمرانية النشطة والحركة التجارية الرائجة وصفها البكري وأعجب بها، واعتبرها من أزهى فترات المدينة في العهد الإسلامي.[3]

وأثناء هذه الفترة أيضا، لم تكن المدينة بعيدة عن أمرين هامين، يمكننا الإشارة إليهما:

[1] – نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص 125.

[2] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 68.

[3] – محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964، ص 41.

أولا: ظهور أطماع الإسبان في المدينة، كونها منطقة ساحلية استراتيجية تؤمن الجهة الجنوبية لإسبانيا، وتمدها بالمنتجات الزراعية والصناعية.

ثانيا: محاولة بعض الزعماء والقبائل مسك زمام السلطة بالمدينة بعد أن عرفت المدينة فترة من الضعف السياسي، مما دفع يوسف ابن تاشفين إلى محاولة السيطرة على المدينة، والتي تحققت بعد قتال كبير، لكنها سرعان ما عادت المدينة إلى حكم ملوك بني حماد، الذين استمروا في بسط سلطتهم عليها إلى غاية آخر ملوكها القائد ابن العزيز، لتنتقل المدينة من الحكم الحمادي إلى الحكم الموحدي، فاستعادتا المدينة فترة الازدهار رغم فترات الفتور وعدم الاستقرار التي عرفتها.[1]

وفي هذه الفترة اهتم حكامها بتوسيع حدود المدينة وبتحصينها وتوسيع أسواقها، إلا أن هذه المحاولات كما كانت في الفترات السابقة تصطدم بأطماع خارجية وبمحاولات داخلية للاستيلاء على المدينة.

غير أن سقوط الدولة الموحدية قد أدى إلى ظهور كيانات سياسية ضعيفة ومتنافسة، ونقصد بذلك دولة الحفصيين بتونس ودولة الزيانيين بتلمسان، غير أن الذي أبعد مدينة الجزائر عن هذا التنافس أنها حافظت على استقلالها مثلها مثل بعض المدن الجزائرية[2]، فقد تولى زمام حكم المدينة العالم الشهير سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الذي تنازل فيما بعد عن مشيخة المدينة، وانشغل بالتدريس إلى غاية وفاته قبل فترة وجيزة من قدوم الأتراك إلى الجزائر، لتنتقل الرئاسة أو سلطة المدينة من الثعالبة[3] إلى أولاد سالم، وكان آخرهم الشيخ سالم التومي الذي كان يقيم بحي حومة باب الواد بالجزائر.[4]

---

[1] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 29.

[2] – Saida Ben chikhe-Boulanawar, L'Algérie Par Ses Archives, Casbah Editions, Alger, 2015, p 135.

[3] – الثعالبة: قبيلة عربية سكنت الجزائر العاصمة منذ القرن 14م، ينظر: Ibid, p 135.

[4] – نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 53.

في هذه الفترة من تاريخ المدينة عرفت تطور خطير على المستوى الخارجي، تمثل في تحمل الأطماع الإسبانية في المدينة، حيث وصل الإسبان الغزاة إلى المدينة ونجحوا في التغلب على دفاعات المدينة وحصونها واحتلال الصخرة الوسطى بمرسى الجزائر، حيث قاموا بإنشاء حصنهم المعروف باسم "صخرة البنيون"، والتي تعني الصخرة العالية، وبدأ الإسبان الغزاة في التضييق على حركة سكان المدينة وفرض الضرائب أو المكوس للسيطرة على حركة التصدير والاستيراد.[1]

وفي ظل حالة التضييق والخناق التي فرضها الإسبان على المدينة، لم يجد السكان وفي مقدمتهم أعيانها إلى الاستنجاد بالقائد التركي عروج الذي نزل بالمدينة ونصب نفسه حاكما على الجزائر دون أن يجد معارضةً من الأهالي والسكان.[2]

والحق أن قدوم عروج على رأس قوة بحرية عثمانية إلى الجزائر، كان قد أدخل المدينة والجزائر في مرحلة جديدة، تميزت بظهور دولة جزائرية كقوة سياسية وعسكرية ناشئة في البحر المتوسط، تواجه الأطماع الإسبانية، وشرع عروج وإخوته في توطيد حكمهم في الجزائر ومواجهة الحملات الإسبانية المتتالية وتحرير ما احتله الإسبان مثل مدينة وهران.[3]

وإن كنا وجدنا خلافا في تاريخ استيلاء عروج على المدينة، إلا أننا نكاد نتفق أن سنة 1516م هي بداية توطيد الحكم التركي في الجزائر وتوسعه خارج المدينة، حيث عمل عروج على التوجه إلى منطقة متيجة والتيطري ومليانة، واسترجاع السواحل الغربية، وكان لفتوحات عروج في هذه المدن الأثر الطيب لدى سكان هذه المدن، إلا أنهم رأوا في عروج قوة تمكنهم من مواجهة الغزاة الإسبان[4]، ومن جهة أخرى فرصة لتحريرهم من ظلم حكامهم، متلما في تلمسان عندما استغاث أهلها من حاكمهم أبو حمو الذي احتمى بالإسبان في مدينة وهران.[5]

---

[1] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 53.

[2] – نفسه، ص 54.

[3] – نفسه، ص 54.

[4] – Haedo, Topographie et histoire général D'Alger, Edition Bouchan, paris, 1998, p33.

[5] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 55.

وإذا كان عروج قد استشهد في إحدى المعارك مع الإسبان، ومثل بجثته في ترويع الأهالي في ماي 1518م، إلا أن ذلك لم يمنع أن تتحول الجزائر إلى قوة بحرية لها كلمتها في البحر الأبيض المتوسط، وتدخل رسميا تحت الحكم العثماني الذي استمر إلى غاية 1830م.

ثالثا: فئات مجتمع مدينة الجزائر

بعد أن تناولنا في المبحثين السابقين التعريف بمدينة الجزائر جغرافيا وتاريخيا، إضافة إلى المرور على أهم الفترات والمراحل التاريخية التي عرفتها المدينة بلمحة تاريخية موجزة لخصنا فيها أهم المحطات، بداية من المرحلة الفينيقية إلى غاية تاريخ دخول المدينة والجزائر تحت الحكم العثماني، ننتقل في هذا المبحث إلى الحديث عن الجانب الاجتماعي وتحديدا عن تركيبة المجتمع الجزائري الذي عرف توافد العديد من الأجناس إلى الجزائر وكل ذلك أثر في التركيب السكانية للجزائر، وشكل مجتمعا مكونا من خليط من عدة أطياف، وهذا ما سنراه في هذا المبحث.

1-فئة الأتراك العثمانيين:

تعتبر فئة الأتراك من الفئات الاجتماعية الجزائرية، وذلك منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م، حيث تشكلت النواة الأولى لهذه الفئة من الجند الإنكشارية ومن المتطوعين الذين أرسلهم السلطان سليم الأول عام 1520م إلى خير الدين بربروس.[1]

وكانت هذه الفئة متمسكة بلغتها التركية وبمذهبها الحنفي تخضع لنظام قضائي خاص، ولامتيازات متميز عن بقية الفئات الاجتماعية، حيث تمركزت في مختلف جهات الجزائر شرقا قسنطينة، بسكرة وتبسة، أما في الوسط فقد شهدت مدن المدية، الجزائر والبليدة تمركزا كبيرا لها، استقطبت الجهة الغربية لهذه الفئة في كل من مازونة ووهران وتلمسان[2]،

[1] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهاد الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 60.

[2] – صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص 355-357.

وقد وصل عدد الأتراك سنة 1829م في بايلك الغرب 1300 تركيا، وفي بايلك الشرق 1700 تركيا، وفي مدينة الجزائر 3976 تركيا، وفي بايلك التيطري حوالي 250 تركيا، وبلغ العدد الإجمالي لهم 7876 تركيا، إلى جانب المعطوبين 250 معطوب[1]، أما العزلة التي ظلت تعيشها الأقلية التركية فترجع أسبابها إلى رغبة الحكام الأتراك في المحافظة على امتيازاتهم وميل غالبية العناصر التركية إلى التمسك بعاداتها ولغتها وأسلوب عيشها ونمط حياتها.[2]

وما ميز هذه الفئة كانوا يستقدمون بين فترة وأخرى جماعات من أتراك الأناضول للعمل في فرق الأوجاق، ونظرا لهذه الأوضاع الخاصة التي تعيشها الأقلية التركية الحاكمة أصبحت علاقتها مع بقية السكان تتصف بالروح العدائية والنفور المتبادل، وهذا ما أكده هايدو بقوله: «بأنه لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوأ من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر»، ونتج عن هذه العلاقة إبقاء الأهالي بعيدين عن أي مساهمة في أمور الدولة والحكم.[3]

كان نشاهم عاملا من عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية لنشر بعض العادات والتقاليد، خاصة في مجال المأكولات واللباس والمساجد، إضافة إلى الفن المعماري والموسيقى، كما ساعدوا في إدخال المذهب الحنفي وبعض الطرق الصوفية لربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي.[4]

2-فئة الكراغلة:

لقد كانت لهذه الفئة أهمية كبيرة من حيث وزنها في المجتمع، فهي المجموعة التي تحتل المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي، والتي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الإنكشاري

[1] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 84.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 93.

[3]– Haedo, op.cit, p 35.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 149.

ونساء الجزائر[1]، ويعود معنى هذا المصطلح إلى كول "عبد" "غلام" وأوغلو "الابن" أي ابن العبد، وتعود العبودية هنا إلى الأب الإنكشاري الذي يعتبر بمثابة عبد للسلطان.[2]

ظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية، وهي الجزائر وتلمسان ومعسكر وقلعة بني راشد ومستغانم وماوزنة ومليانة وبسكرة وعنابة، ففي المدينة الجزائر وصل عددهم نهاية القرن 16م 6000 نسمة.[3]

كانت جماعة الكراغلة تطمح بالميلاد واللغة والانتماء العائلي للارتقاء إلى المرتبة الأولى في المجتمع، لكن الحكام العثمانيين منعوهم من ذلك، فاعتبروهم أبناء عبيد من أجل المحافظة على مقاليد السلطة.[4]

كان الكراغلة يشكلون طبقة وسطى تمارس العديد من الوظائف كالتجارة والمهام الإدارية المتوسط وأيضا الانضمام إلى صفوف الجيش، والحصول على امتيازات العثمانيين، ومع مطلع القرن 19م، أصبحت معظم المهام الإدارية بالجزائر من اختصاصهم كما كانوا هم العنصر المسيطر[5]، إضافة إلى أنهم لعبوا دورا هاما في بعض الأحداث، إذ وقفوا إلى جانب الداي علي خوجة لإخماد التمرد الإنكشاري في سنة 1817م، وساعدهم هذا على الاحتفاظ ببعض الامتيازات وتوليهم مناصب هامة نتيجة لسياسة الترضية التي انتهجها بعض القادة أمثال الداي شعبان الذي قام بترقية بعض الكراغلة إلى مناصب سامية، حيث ولي بايلك الغرب الكرغلي مصطفى العمر، ومع نهاية العهد العثماني أصبح همهم تنمية ثرواتهم وتنشيط تجارتهم.[6]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792–1830م)، دار البصائر، الجزائر، ط3، 2085، ص 41.

[2] – محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات (1659–1671م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007–2008، ص 99.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 94–95.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 155.

[5] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 357.

[6] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 96.

وهكذا أدى سياسة التقارب بين الأتراك والكراغلة إلى حدوث أثر سيء في العلاقة بين الكراغلة والأهالي، إذ أصبح الجزائري العادي ينظر إلى الكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الأتراك الحاكمين.[1]

3-فئة الحضر:

تعتبر فئة الحضر من أهم الفئات المتواجدة في مدن الجزائر وخاصة مدينة الجزائر، حيث يتراوح عددهم بين 30 و40 ألف.[2]

لغة: وتعني من الناحية اللغوية الحضر: خلاف البدو والحاضر خلاف البادي، وفي الحديث يقول: «لا بيع الحاضر البادي»، الحاضر هو المقيم في المدن والقرى، والبادي هو المقيم هو المقيم في البادية.[3]

اصطلاحا: هي مجموعة سكانية قاطنة بالمدن، والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما انضم إليها من الأندلسيين والأشراف، وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة تضم العلماء والتجار والصناع وأصحاب الحرف والفقهاء[4]، كانوا يشكلون في مدينة الجزائر حوالي 2500 بيت أغلبهم يزاولون التجارة ويملكون حوانيت، وموضوع تجارتهم الرئيسي هو المواد الغذائية، ويشتغل بعضهم بالصناعة، ويملك البعض الآخر البساتين.[5]

ومن أهم العناصر التي تتشكل منها فئة الحضر نجد الأندلسيون: هم الوافدون من الأندلس، فهم بدورهم يعتبرون من أهم العناصر السكانية المشكلة لمدينة الجزائر لقوتهم العددية ولدورهم في شتى ميادين الحياة، وفي مختلف مجالاتها، وكانت لهم صلة بالبلاد

---

[1] – حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 167.

[2] – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 12.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص 107.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 97.

[5] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 358.

الجزائرية منذ الفترة الإسلامية، وتكاثر عددهم بمعظم المدن الساحلية كشرشال ودلس ومستغانم خلال القرن 15م بعد سقوط غرناطة 1492م، ففروا من اضطهاد الإسبان الذين استولوا على أملاكهم وهددوهم في عقيدتهم ولغتهم.[1]

لذا فالهجرة الأندلسية كانت عامل رئيسي في الانتعاش الاقتصادي والنمو العمراني وإنشاء المدن، فالأندلسيون قاموا بإنشاء السواقي بالفحوص وجلبوا المياه وساعدوا على شيوع اللغة العربية[2]، كما شاعت ظاهرة زواج أعيان مدينة الجزائر بالموريسكيات، فلم يقتصر الزواج على الأندلسيين ببعضهم البعض، بل تعدى ذلك إلى مصاهرة أهل الأندلس مع الجيش، وهذا راجع إلى رغبة الجيش في كسب تأييد الأندلسيين، هذا ما ساعد الأندلسيين على الحصول على مكانة خاصة في مجتمع مدينة الجزائر[3]، أما بخصوص الأشراف فهي جماعة قليلة العدد، والتي تتميز عن باقي الحضر بانتسابها إلى آل البيت، فقد اشتهر أغلب أفرادها بالورع والتقوى، وهذا ما أكسبه احتراما وتقديرا لدى الحكام وباقي السكان.[4]

4-فئة البرانية:

تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان وغيرها للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي في المدن أن تنتظم حسب أصولها الجهوية وموطنها الأول، فهناك البساكرة الجيجليون، الأغواطنيين، الميزابيين والقبائل، قد اختصت كل جماعة من جماعة البرانية بالقيام بأعمال معينة.[5]

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 148.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 98.

[3] – Haedo, op.cit, p 97.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 99.

[5] – نفسه، ص 99.

أ-البساكرة:

تشكلت هذه الجماعة من سكان الجنوب الشرقي للإيالة، فقد ضمت إلى جانب العنصر البسكري ذاته عناصر أخرى، وفدت من مناطق الزيبان ووادي ريغ وسوف وتوقرت، وكان البساكرة يقومون بأعمال وضيعة في المدينة وضواحيها، فقد كانوا سقائين وحمالين، كما عمل البعض منهم كباعة متجولين وبحارة.[1]

ب-الجيجلون:

يعتبرون من أقدم العناصر البرانية المستقرة في الجزائر، هاجروا إلى مدينة الجزائر عقب استقرار الأخوين بربروس ومن معهما من الأتراك بجيجل، فقد استعان بهم خير الدين بربروس لقمع ثورة ابن القاضي، وقد تمكن الكثير منهم في الحصول على ثروات وامتلاك المخابز والمنازل وامتهنوا مهنة طهي الخبز للإنكشارية.[2]

ج-الأغواطيين:

ينتسب الأغواطيين إلى واحة الأغواط الواقعة جنوب الأطلس الصحراوي في أطراف الصحراء على إحدى أهم الطرق التجارية، وقد هاجر المنطقة عدد هام من أبنائها في اتجاه المدن الجزائرية خاصة مدينة الجزائر بسبب الظروف المناخية الصعبة، وتقهقر التجارة الصحراوية، ابتداء من مطلع العصر الحديث، وقد اختص الأغواطيين بمدينة الجزائر بتصفية الزيوت التي يأتي بها الجبايلية أو غيرهم في فندق الزيت، وغالبيتهم كانوا يسكنون الفنادق التجارية بالمدينة، كما اشتهروا أيضا بمهنة التنظيف.[3]

د-بني ميزاب:

ينتسب إليها سكان قرى وادي ميزاب ومناطق ورقلة والقرارة، يتمركز أفرادها في المدن الكبرى خاصة مدينة الجزائر وقسنطينة، وذلك من أجل العمل في مطاحن الحبوب

[1] – محرز أمين، المرجع السابق، ص 93.

[2] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 334.

[3] – بن عتو بلبراوات، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2007-2008، ص 128.

والحمامات، ويوكل إليها عادة تربية الحيوانات وبيع اللحوم ونقل البضائع، ومنهم من يشتغل في دكاكين الفحم والفواكه وفي المقاهي وغيرها.[1]

هـ-القبائل:

تعد إحدى أهم الجماعات من حيث عدد الوافدين إلى مدينة الجزائر، كان معظم أفرادها من العنصر الزواوي أي قبائل الزواوة بإمارة كوكو، سيطروا على أشغال البناء، وكانوا يعتمدون على بيوت الحجارة بنسبة عالية، ويعملون أيضا في بساتين الكروم ويعملون بالتجديف على ظهور السفن مقابل أجرة، ومنهم من كان يبيع الأعشاب والفواكه والفحم والزيت والبيض.[2]

5-فئة الدخلاء[3]:

أ-الطائفة اليهودية:

استقروا في أهم المدن وخاصة عواصم الأقاليم، وخصوصا مدينة الجزائر وارتفع عددهم نتيجة هجرة يهود الأندلس مع المسلمين خلال القرن 19م، وقد جاء بعض يهود أوروبا إلى مدينة الجزائر واستوطنوا بها مثل عائلتي بكري وبوشناق، اشتغلوا في الصنائع الدقيقة والثمينة كالخياطة والصياغة واختبار جودة الذهب والفضة والعطارة ونحوها، تمكنوا بفضل مترجميهم بحكم معرفة اللغات الأجنبية من الاطلاع على أسرار الدولة، وبالتالي كان لهم تأثير في السياسة الداخلية، فاحتكروا تصدير بعض البضائع واختبار العملة الرسمية، وعليه لعب اليهود دورا هاما في المجال الاقتصادي والاجتماعي وخصوصا المالي والتجاري.[4]

---

[1] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 331.

[2] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 360.

[3] – الدخلاء: هو الأجانب عن البلاد وليس عن المدينة فقط، وهم الأجانب في الإسلام هذه التسمية الأصح، ونجد في خانة الدخلاء العبيد السود والعبيد المسيحيين والمسيحيين الأحرار واليهود، ينظر: نفسه، ص 360.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 151-152.

ب-الطائفة المسيحية:

تشكل إحدى العناصر المهمة داخل المجتمع الجزائري، وتضم التجار الأجانب والقناصل الأوروبيين ورجال البعثات والإرساليات التبشيرية وجماعة الأسرى المسيحيين، كانوا يشكلون الغالبية الساحقة، قدر عددهم بـ 25 ألفا[1]، كانوا مسخرين للخدمة في قصر الدايات والحانات والسجون والتجديف في السفن وفي رعاية البساتين، كما مثلوا موردا اقتصاديا هاما للخزينة عند افتدائهم من طرف دولهم[2]، كان مصدرهم القرصنة والحملات الأوروبية على الجزائر، جاءوا من فرنسا وإيطاليا وروسيا، مارسوا مختلف الأعمال الشاقة كالنظافة والتجديف مقابل حريتهم.[3]

7-فئة الزنوج:

يعود أصل الزنوج إلى الأقطار السودانية، شكلوا جزءا صغيرا من السكان، فهم عبارة عن وعبيد اشتراهم أسيادهم من داخل القارة أو من طرابلس[4]، وذلك من أجل العمل في الدور وحمل البضائع والأثاث ومواد البناء كالرمل والجير والخشب، أي استخدموا كحمالين[5]، لكنهم سرعان ما يحصلون على حريتهم باعتناقهم الإسلام.[6]

وصفوة القول أن مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني شهد تنوعا في الفئات السكانية من مختلف المذاهب والأجناس والأديان نتيجة علاقات المصاهرة بين العنصر المحلي والوافدين الجدد، التي بدورها ساعدت على استقرارهم في مدينة الجزائر ومساهمتهم في مختلف المجالات التي كان لهم الأثر البالغ في الإنعاش الاقتصادي والتجاري، ضف إلى ذلك الفن المعماري وإثراء الحياة الاجتماعية وتنوعها وبروز عادات وتقاليد جديدة، نتيجة التأثير والتأثر بمختلف الشرائح الاجتماعية، دون أن نغفل على موقع الجزائر القريب من

[1] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 104.

[2] – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 173.

[3] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 361.

[4] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 92.

[5] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 143.

[6] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 92.

أوروبا وإفريقيا جعلها مقصدا لهجرات سكانية كثيرة، إضافة إلى شساعة مساحتها وثرواتها المختلفة.

الفصل الأول

العادات اليومية

أولا: ارتياد المقاهي والحمامات

ثانيا: الطعام

ثالثا: اللباس

رابعا: زيارة الأضرحة

أولا: ارتياد المقاهي والحمامات

بعد تعرضنا في الفصل التمهيدي للتعريف بالجزائر جغرافيا وتاريخيا، وأيضا التركيب السكانية لمجتمع مدينة الجزائر ذات التنوع الديني والعرقي، كما ذكرنا سابقا، نحاول في هذا الفصل الحديث على أهم العادات والتقاليد سواء تعلق الأمر بالسلوكات والممارسات اليومية أو ما تعلق بالأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية.

1-المقاهي:

تعد المقاهي من الفضاءات الرجالية بامتياز، كونها مؤسسة حقيقية يجتمع فيها السكان من مختلف الطبقات الاجتماعية لتناول القهوة والشاي، وفيها يلتقي الذين يهتمون بالسياسة، وأيضا من أجل تبادل الحديث ومناقشة الأعمال وإبرام الصفقات والاستماع إلى الأخبار والاسترخاء لبعض الوقت[1]، كما هي مكان يقصده الأجنبي قصد الاحتكاك بالشعب الجزائري للتعرف على حقيقته ولغته.[2]

فالمقاهي في أغلبها عبارة عن دكاكين أو حوانيت شبيهة بالأخرى محاطة بمقاعد مفروشة بزرابي وحصائر مزودة في أقصاها بفرن صغير "كانون"، كان يحضر فوقه القهواجي أباريق القهوة على الجمر تحت عيون الزبائن[3]، وتقدم القهوة في فناجين مصنوعة من الخزف فوق صحن من الصفيح، يوضع فيها مسحوق السكر، أما الطباخ من السود عادة، أما الندل فيكون من أبناء الحضر.[4]

تطورت المقاهي مع مرور الوقت، وشهدت تطورات كثيرة سواء في الأثاث أو الخدمات، حيث أن سكان مدينة الجزائر أصبحوا يرتادونها ابتداء من الثالثة صباحا ولا تخلوا

[1] – نادية مباركي، دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثمانية، مجلة حوليات التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، ع 4، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011، ص 209.

[2] – سيمون بفايفر، لمحة تاريخية عن الجزائر، تق، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 112-113.

[3] – نادية مباركي، المرجع السابق، ص 209.

[4] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص ص 63-66.

منهم اليوم كله[1]، ويستمتعون بشرب القهوة والتمتع بنغمات الموسيقى الأندلسية الهادئة وعروض لعرائس القراقوز[2] ولعبة الشطرنج[3] إلى جانب الاستماع إلى قصة من التراث العربي الإسلامي، والتي كانت ممزوجة بالنكت والنوادر.[4]

وعليه فالمقاهي بمثابة ملاجئ للزبون لنسيان مشاكله وانشغالاته المهنية والعائلية، هذا ما جعل المقاهي مكتظة بروادها، وتجدر الإشارة إلى أن المقاهي قد عرفت انتشارا واسعا في مدينة الجزائر، خاصة في الطريق المؤدي إلى الميناء وعرف بحي المقاهي وقدر عددها حوالي 60 مقهى[5]، ومن المقاهي المنتشرة نذكر منها قهوة الدروج أعلى جامع كتشاوة، والقهوة الكبيرة توجد في شارع الجزيرة، وتعد من أشهر مقاهي مدينة الجزائر لجودة قهوتها وشكلها، وهندستها المعمارية التي تريح النفس[6]، ويجتمع فيها الناس منذ الصباح الباكر حتى تمتلأ القاعة تدريجيا، لكن ما يميزها طريقة الجلوس، حيث يجلس الأتراك على المقاعد لتناول القهوة[7] أو الشاي، كونهم الطبقة الأرستقراطية، أما البقية فيجلسون على الحصير المفروش على الأرض.

ولا زالت المقهى إلى يومنا هذا تمارس نفس الدور تقريبا مع اختلاف في الإمكانيات وشكل المقاهي التي تعتبر متنفسا للرجال، سواء كان في المدن أو الأرياف.

---

[1] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 15.

[2] – القراقوز: قبو مظلم يحتشد فيه عدد من الأهالي يجلسون فوق الأرض وأنظارهم متجهة إلى الشاشة، حيث تظهر الأشكال السوداء الناطقة التي تشبه خيال الظل الصيني في أوروبا من الورق مشبعة بالزيت، ينظر: هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العديد دودو، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1980، ص 117.

[3] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 97.

[4] – نادية مباركي، المرجع السابق، ص 212.

[5] – نفسه، ص 214.

[6] – نفسه، ص 210.

[7] – القهوة: عبارة عن مشروب أسود كالحبر تسمى بالعشبة المقدسة نظرا لميزاتها النادرة، ويتم تجفيفها وتحويلها إلى غبرة أو مسحوق تنقع في الماء الساخن، ثم يتم تناولها بجرعات صغيرة عدة مرات في اليوم، ينظر: نادية مباركي، المرجع السابق، ص 2014.

2-الحمامات[1]:

تعد الحمامات من بين أرقى المنشئات المعمارية في مدينة الجزائر، فهي إحدى الأولويات الضرورية للسكان في الحياة اليومية، لكونها مكان يقصده الرجال والنساء قصد النظافة والاجتماع والاسترخاء، هذا ما جعل العثمانيون يهتمون ببناء الحمامات، وأدى ذلك إلى انتشارها بشكل كبير، إذ وصل عدد الحمامات 60 حماما أيام هايدو، هذا ما جعل وليام سبنسر يؤكد بقوله: «إن الحمامات العمومية في الجزائر تستحق الذكر»[2]، فالحمامات في مدينة الجزائر كانت تشبه الحمامات القسطنطينية وحمامات القاهرة وغيرها من مدن المشرق.[3]

لم يقتصر دور الحمامات على النظافة، بل تعدى إلى أغراض اجتماعية أخرى، هذا ما جعله من التسليات اليومية لسكان مدينة الجزائر، فالحمام هو المكان الذي ينظف فيه الجزائريون أنفسهم دينيا وصحيا، ففيه يلتقي الرجال والنساء الحضر كلهم في قسمه المنفصل أو حجرته، وفيه يتفق على الزواج أو بداية المبادرة الأولى فيه، ويتحدث فيه كذلك عن مراسيم الدفن، وتحمل الأعمال التجارية إلى مرحلة الاتفاق، وفيه تحكى الحوادث العائلية بين الأصدقاء.[4]

يحجز ليلا إلى منتصف النهار للرجال، كانت الحمامات مجهزة بالماء البارد والساخن، حيث يدفع المستحم أجرة بورقتين اثنتين، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ومنها يمر إلى حجرة عريضة، وقد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها لأشخاص يتراوح

---

[1] – الحمامات: الحمام مشتق من الكلمة الإغريقية تورموس، وتعني الساخن، مصدر كلمة حمام هي الحمم، وذلك تعبيرا عن شدة حرارة المياه، والحمامات في الأصل مكان لتوفير الطهارة والنظافة، ينظر: حكيم بن الشيخ، جوانب من الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال القرن 19م المقاهي والحمامات أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية، ع 11، جامعة يحي فارس، المدية، 2019، ص 43.

[2] – وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، د.ط، تق، تع: عبد القادر زبادية، در القصبة، الجزائر، 2006، ص ص 114-115.

[3] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 97.

[4] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 114.

عددهم بين العشرة إلى اثنا عشر، ويمر المستحم عبر بخار حرارته تزداد شيئا فشيئا، حتى يصل ما يسمى بـ "السيكاك أوداسي" "Sicak adois" أي الكاليداريوم لدى الرومان، وهناك يتمدد على أرائك القطيفة تغمرها سحابات من البخار الساخن، المعبأ بالرائحة الزكية، وبعد الاستراحة في هذه الوضعية الباعثة للنوم لعدة دقائق، ثم يقوم اللهيزميتسز (Hiznecis) أي الخدم بتدليك المستحم ويحكون جسمه بقفازات لا أضافر لها، وفي الأخير يعود المستحم إلى غرفة الملابس الذي دخل منها كي يتناول عصير الليمون أو البرتقال بعد أن يبخ عليه عون ثالث ماء الزهر ويلبس ثيابه ثم يغادر المكان.[1]

أما بخصوص الحمام المخصص للنساء، فقد كانت المرأة بمدينة الجزائر تقصد الحمام مرة واحدة في الأسبوع للطهارة الجسدية وأيضا لإظهار أزيائهن، حيث كانت البرجوازيات يلبسن أشرطة ثقيلة مرصعة بالمرجان والأحجار الكريمة.[2]

كانت النساء تقضي منتصف النهار إلى الغروب في الاستحمام، ومعهن الزنجيات للتدليك والكياسة، كل واحدة تدفع ورقتين عند الدخول[3]، فالنساء في الحمام كانت تقوم بنفس المراحل التي يقوم بها الرجال في الحمام الخاص بهم، بحكم أن حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، حيث كانوا يقومون بصبغ حواجبهن ولبس ثيابهم عند خروجهم إلى غرفة الملابس، تقدم لهم الفاكهة والجوز وحلويات أخرى كالحلقوم وهو نوع من حلوة أصابع العروس، كما يتم تهيئة جو موسيقى وتحضير الفتيات للرقص، وفي خضم هذا الجو المبهج تقضي الجزائريات يوما من أيام الأسبوع.[4]

[1] – منصور درقاوي، الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأجنبية (العادات والتقاليد أنموذجا)، مجلة العصور، ع34-35، جامعة وهران 1، أفريل/جوان 2017، ص 51.

[2] – بن عتو بلبراوات، المرجع السابق، ص 146.

[3]– Haedo, op.cit, pp 194-195.

[4] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 115.

وصفوة القول بأن الحمام كان مكانا للنظافة والطهارة، إضافة إلى أنه أصبح من العادات اليومية لسكان مدينة الجزائر لمناقشة القضايا العائلية وأمور الزواج والدفن، إلا أننا لا يمكن أن ننكر الدور العلاجي للحمام في معالجة السعال وداء المفاصل ونزلات البرد.[1]

وبحكم أن الحمامات فضاء للنساء اللاتي يجتمعن تقريبا أسبوعيا لتبادل الآراء والأفكار، فقد حظي هذا الفضاء بأهمية كبيرة في الحفاظ على الكثير من العادات.

ثانيا: الطعام

يعتبر الطعام موروثا حضاريا، إضافة إلى كونه مصدر الحياة، فهو أحد مكونات العادات والتقاليد، فالأطعمة من بين العناصر الأساسية التي تقدم في مختلف المناسبات والاحتفالات والأعياد.

فمدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تزخر بالعديد من الأطعمة والحلويات، فبعضها متجذر في البلاد، والبعض الآخر وافد من البلاد التركية أو من مهاجري الأندلس.[2]

كانت الجزائر مليئة بمختلف أنواع الأطعمة، إذ يقول وليام شالر: «...والخبز ولحم الضأن والدجاج والسمك والحليب والزبدة وزيت الزيتون والفواكه والخضروات والكسكسي الذي يصنع من عجينة ويفتل على شكل حبات صغيرة في قصعة مصنوعة من الخشب، ثم يوضع في كسكاس ويطهى بالبخار وقد يرفق بالمرق والخضروات أو يقدم بالبيض المسلوق أو بالأعشاب أو بالعسل».[3]

ودخلت إلى مدينة الجزائر أطباق تركية كان لها وجود شائع في المطبخ الجزائري مثل البيلاف (بيلو أو بيلاو)، وهو طبق أناضولي ثابت منتشر بصفة واسعة في مدينة الجزائر، وقد كان السكان يقبلون كثيرا على طبخ الدولمة معنها الحرفي (المحشوة) بمختلف أنواعها

[1] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 14.

[2] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر العثمانية–مدينة الجزائر أنموذجا–، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2010، ص 82.

[3] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 87.

مثل سوبان دولماسي (بصل مملوء بلحم الخروف المحشي بالأرز)، يابراك دولماسي (لحم مغلف بأوراق العنب).[1]

كذلك توجد أنواع من الكباب تدعى مكرون (Makron)، أي معجون من السكر والماء، ومنه يأخذون جزءا صغيرا يساوي حبة الفاصولياء في كبرهة ويضعونه وسط سلك يلولبونه في أيديهم حتى يصبح طوله اثنين أو ثلاثة، وحينئذ يغلونه في الماء مع ثلاث أو أربع بصلات، وعند طبخه يمزج مع قطع الجبن مقطعة قطع صغيرة يصبون فوقه الزبدة ويأكلونه بسرعة.[2]

أما الخبز يكسر قطعا صغيرة ويوضع أمام كل واحد على المائدة مع ملعقة، واللحم يقطع دائما شرائح قبل أن يطبخ، والطيور تطبخ عادة بكاملها، وعندما تقدم للأكل تكون مطبوخة وناضجة، بحيث تقطع أطرافها بسهولة والشربة والسمك أكثر الأطعمة طهوا في مدينة الجزائر.[3]

وبفعل عملية التأثير والتأثر بين تقاليد المجتمع المحلي والوافدين من الأندلسيين والأتراك، ظهرت الحلويات التي كانت تقدم مع القهوة أو الشاي، وبذلك امتزجت هذه التقاليد فيما بينها، ومن بين الحلويات نذكر على سبيل المثال:

- المشلوش (الكعك) فهو عبارة عن قطع صغيرة تصنع من الطحين وتنقع في الزيت ثم يذر فوقها السكر أو العسل.
- الزلابية هي نوع من أنواع الحلويات زيتي دسم وطري يعوم في حساء من العسل.
- البوراق طعام صلب مجوف في وسطه لحم محلى بالعسل.

[1] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 113.

[2] – نفسه، ص 113.

[3] – جيمس لاندر كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في الجزائر، تر، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 73.

- البقلاوة هي حلوة تركية الأصل محشوة باللوز والزبيب دسمة جدا زيتية ومشربة بالعسل.
- القطايف والمسمنة (مسمن) الفالودج.
- طمينة والمقروط والإسفنج وغيرها من المأكولات والحلويات التي تتزين بها موائد الجزائريين في الأفراح والمناسبات الدينية، والتي مازالت حاضرة في موائدنا اليوم.[1]

ويمكننا القول أن مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني قد عرف تنوعا كبيرا في الأطعمة التي تعددت وتنوعت أصنافها وطرق تحضيرها تبعا للمناسبات والأعياد، كما تجدر الإشارة إلى أن الوافدين من الأندلس والأتراك قد ساهموا في بروز أطباق جديدة تخص عاداتهم، هذا ما أدى إلى امتزاج بين المأكولات المحلية والأطباق الناتجة عن عملية التأثر التي ساهمت فيها مختلف فئات مجتمع مدينة الجزائر.

ثالثا: اللباس

عنوان الذوق والأناقة عند أغلبية الناس، وصورة لشخصية صاحبه والتعرف عليه، إذ يعد شكلا ثقافيا يجسد رؤية الجماعة والفرد لمجموعة من القيم والمعايير الاجتماعية والدينية، وتخضع درجة الأناقة إلى الحالة الاجتماعية لكل أسرة، فقد تميز سكان المدن بصفة عامة بالألبسة الأنيقة الرفيعة والجميلة، بينما يلبس أهل البداوي الألبسة الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان حسب طبيعتهم وذوقهم ودرجة تحضرهم.[2]

[1] – ابن رزين النجيبي، فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين–فضالة الإخوان في طيبات الطعام والألوان–، تق، تر: ابن شقرون، مطبعة الرسالة، الرباط، 1981، ص ص 34، 58.

[2] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العصر الزياني، ج1، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 266.

كانت تنسيق اللباس من أقدم الأركان التي قامت عليها الدولة العثمانية، فهو بذلك يميز الشعوب عن بعضها البعض، وكانت نوعية الملابس تختلف باختلاف طبقات وثروة الأفراد وفصول السنة.[1]

وفي هذا العنصر سوف نحاول إعطاء وصف وذكر لملابس كل فئة من فئات مجتمع مدينة الجزائر، سواء رجالا أو نساء إبان الفترة العثمانية على النحو التالي:

1-لباس الرجال:

يتمثل لباس الرجل المحلي في مدينة الجزائر بصفة عامة في البرنوس، وهو ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام وقلنسوة[2]، فالبرنوس ينسج من صوف ناعم أبيض تمزج أحيانا بالحرير وزخارفه وحواشيه أيضا من الحرير، والبرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء يحمل نفس الشكل ولكن ينسج من خيوط أمتن، بحيث يقي من المطر ويكون لونه أسود، ويضاف إلى البرنوس الألبسة التحتية المهذبة[3]، تلبس البدعية سروالا مطرزا عريضا وفضفاض يتخذ من الموسلين.[4]

ولقد لبس الجزائريون أيضا قميصا من الكتان وسراويل في طول الركبة، وفي الشتاء يلبسون الغليلة، وهي لباس طويل حتى الركبة تأتي بعدها جبة من القماش الرفيع، ويكمل هذه المجموعة البرنوس[5]، وبالنسبة للأتراك في مدينة الجزائر كانوا يضعون على أكتافهم برنوسا له قبعة في نهايتها عقدة ضخمة من الحرير[6]، ويتكون لباس الداي من القمصان، سراويل، أيضا وجود خناجر كرمز للزينة في الحزام، القمصان المزركشة والمطرزة والسترات

---

[1] – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: منير البعلبكي وأمين فارس، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968، ص ص 412-413.

[2] – القلنسوة: هي كلمة لاتينية معربة بمعنى قبعة أو غطاء الرأس مختلف الأشكال والألوان، وتشير كذلك إلى الطاقية التي توضع تحت العمامة، ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، تق: فهمي حجازي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2002، ص 402.

[3] – عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 179.

[4] – الموسلين: هو نوع من القماش أملس يشبه الحرير، ينظر: وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 103.

[5] – نفسه، ص 105.

[6] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص 83.

متعددة الألوان[1]، إذ تميز الرجل التركي عن نظيره الجزائري المحلي بالطربوش، حيث كان الرجل يرتدي الصدرية المصنوعة من الكتان الخشن يضعها فوق قميص وفوقها يضع البدعية، ثم يشد ثيابه بواسطة الحزام المطرز بالذهب وفي الأخير يضع البرنوس الأبيض أو الأسود.[2]

أما ملابس الكراغلة، فعادة ما تكون مزينة بحواشي الذهب أو الفضة أو الحرير[3]، وأيضا الإنكشارية الذين كان لباسهم له ميزة خاصة، فهو مركب، حيث يرتدي العمامة[4]، بينما الضباط الآخرين من الأوجاق يرتدونها من الحرير الأحمر والمذهب، والمسمى عندهم بشد أجزاء أخرى مثل القفطان، الصدرية والجبة الكتانية الساتنية أو المخملية، وكذلك نجد جبة أخرى دون أكمام تسمى الكيباجي والحزام المطرز، ويتم وضع الخنجر ويضاف في الأخير البرنوس الأبيض أو الأسود.[5]

أما أبناء رياس البحر وأبناء المشارقة عموما القاطنين في مدينة الجزائر، فقد كان لباسهم مميزا، كونه من اللباس الفاخر غالي الثمن.[6]

بخصوص زي اليهود في مدينة الجزائر، حيث نجد أن اليهودي يلبس لباسا أسودا من الرأس إلى القدمين، فهو عبارة عن عباءة طويلة تصل إلى منتصف الساقين، وعمامة سوداء تلفها عصابة بلون قاتم ذلك للتمييز بينهم وبين الأجناس الإسلامية والمسيحية.[7]

---

[1] – فاتح بلعمري، الحياة الحضارية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه في علوم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016–2017، ص 342.

[2] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص 83.

[3] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 83.

[4] – العمامة: هي الشاش (Turpan) أبيض يوضع على الرأس دائري، بينما الفلاح يضع قبعة من خيوط التبن تحميه من أشعة الشمس، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791–1830م)، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 355.

[5] – فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص 344.

[6] – كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510–1541م)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 16.

[7] – دروقاوي منصور، المرجع السابق، ص 35.

تجدر الإشارة إلى أن الداي والخواجات ورجال القانون والضباط كانوا ينتعلون البابوج، وهو مصنوع من الجلد الأصفر أو الأحمر، وكذلك الصباط أو البلغة وهو حذاء لين وخفيف دون كعب وذو مقدمة دائرية، والجزء الخارجي للحذاء يحتوي على دانتيل مصنوع من جلد الماعز.[1]

ويمكن القول من خلال التطرق إلى بعض تفاصيل لباس الرجال عند مختلف فئات مجتمع مدينة الجزائر، إنه كان يتسم بالبساطة لدى العامة، أي السكان المحليين، بينما طبقة الأتراك والطبقات الأخرى غلب عليها الثراء وانعكس ذلك في الملابس الفاخرة، إذ كان الإنسان البسيط يلبس زوج من السراويل من الكتان على قمصانهم وسترة من الصوف الأبيض مع برنوس من خلف أو رداء واسع، هذا ما يؤكد أن الحياة الاجتماعية لدى العامة كانت تتوافق مع ملابسهم وأطعمتهم.[2]

2-لباس النساء:

حظيت المرأة خلال العهد العثماني بمكانة اجتماعية كبيرة، هذا ما جعل لها تأثير في مختلف مجالات الحياة اليومية، هذا ما جعلها تولي اهتمام كبير بمظهرها الخارجي ولا سيما اللباس والحلي التي كانت تخرج به في مختلف المناسبات والأعياد والذي يعبر عن مركزها وعن شخصيتها.

كان اللباس الشائع في مدينة الجزائر هو الحايك الذي يتكون من قميص صغير وسروال ضيق ينزل نحو الأسفل، وثوب من الحرير، وأيضا تلبس الحذاء[3]، أما بالنسبة إلى النساء الأتراك المتزوجات فهن يلبسن الفارملة، وهي اللباس ذو حزام مفتوح عند الصدر مع معطف أو أكثر قصيرة إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على السراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل وعند خروجها تلبس ثوبا مزركشا ذو ثلاث طبقات حتى الركبتين، ويتحزمن بشاش

[1] – وهيبة بغلي، الأحذية التقليدية الجزائرية، تر: أحمد أمين، ط1، وثائق مركز الأبحاث، الجزائر، 2007، ص 25.

[2] – جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 160.

[3] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 106.

مـزركش عـريض ثـم تضـع الحايـك[1]، ويتحجـبن حتـى عيـونهن بقطعـة قمـاش بيضـاء أي العجار.[2]

وكذلك تستعمل المرأة الحزام كما يستعمله الرجل الذي يصنع من الصوف المغزولة أو الحرير، وتلفه لفة واحدة على خصرها، وذلك بعد أن تلبس القندورة أو الجبة، والتي يصفها المؤرخين بأنها أهم الأثواب الفضفاضة وبلا أكمام متعددة الألوان.[3]

تولي المرأة عناية بشعرها، وكثيرا ما تتركه طويلا ويصله إلى الأرض، حيث تقوم بصبغه بالأسود، وتصبغ أظافر أيدهن بطلاء خاص، وكذلك يصبغن بالحناء أيدهن وأقدامهن[4]، كما تهتم بشكل كبير بالحلي كونه من أساسيات المرأة، إذ وصف جيمس ويلسون زينة المرأة بقوله: «النساء تهتم أكثر بالحلي في ملابسهن أكثر من الرجال...»[5]، فتلبس خواتم وأقراط الذهب والأساور وخلاخل من الذهب، وهذا حسب الطبقة التي تنتمي إليها[6]، كما تتزين بالعطور والأطرزة المزركشة، وتضع الكحل على الحواجب التي تقوس حتى تأخذ شكل هلال وإحاطة العيون بصبغ أسود.[7]

كما أن الأحذية جزء أساسي من زينة المرأة، حيث كانت تلبس عند خروجها البابوش أي الصباط، والذي يلبس في الأعراس والحفلات، وكذلك نوع آخر يسمى القبقاب الذي هو

[1] – الحايك: هو لباس نسائي واسع فضفاض، تلبسه المرأة عند خروجها من البيت، بحيث تغطي كامل جسمها وحتى وجهها، وهو رداء أبيض مصنوع من الصوف الرقيق أو الصوف الممزوج مع الحرير، ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص 141.

[2] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 107.

[3] – يوسف صرهودة، النساء والملكية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني 1787–1837م، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة عنابة، مخبر تاريخ تراث ومجتمع، ع40، ديسمبر 2013، ص 406.

[4] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 85.

[5] – جيمس ولسن ستيفن، المصدر السابق، ص 160.

[6] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 85.

[7] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 90.

نعل خشبي متصل بالقدم، وينقسم إلى نوعين مسطح الذي يستخدم في المنازل والحمامات، أما النوع الثاني مرتفع فتلبسه نساء قصيرات القامة.[1]

ويجب أن ننوه إلى المرأة اليهودية في مدينة الجزائر كانت تلبس مثل المرأة المسلمة وتخرج إلى الشارع بدون قناع، فوجهها يبقى ظاهرا قصد التمييز بينها وبين المرأة المسلمة التي ترتدي قناعا ولا يظهر سوى عينيها.[2]

رابعا: زيارة الأضرحة

تعتبر الأضرحة من المعتقدات الشعبية المتوارثة ولزيارتها قداسة عند مختلف فئات مجتمع مدينة الجزائر، لاعتقادهم بكرامة وقدرة الأولياء الصالحين، فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من ضريح[3] أو ولي صالح، هذا ما أدى إلى انتشارها بشكل واسع في مختلف المدن الجزائرية.

وتعتبر زيارة الأضرحة ممارسة دينية مترسخة في معظم جهات الجزائر، خصوصا الأرياف، فهي عادة لا يعرف بالضبط تاريخ ظهورها في العالم الإسلامي عامة والجزائر بالأخص، لكن المؤكد هو انتشار الأضرحة[4]، والتي بدورها لعبت دورا كبيرا في تعقيل أفراد المجتمع من خلال زيارتها في مواعيد مختلفة للدعاء أو طلب الشفاء أو الوفاء بالنذر، وقد حرص سكان مدينة الجزائر على الحصول على قبور في أضرحة بعض الأولياء، وذلك بشرائها في حياتهم ليدفنوا فيها بعد مماتهم، لاعتقادهم بأن الدفن قرب الولي يوفر لهم الحماية في الآخرة.[5]

---

[1] – وهيبة بغلي، المرجع السابق، ص 38، 43.

[2] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص 86.

[3] – ضريح Turbe: جمع ضرائح وهو القبر ونقصد به البناء المشيد على القبر، أي فوقه، ينظر: مسعود جبران، الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفها الأولى، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992، ص 510.

[4] – فتاح بلعمري، المرجع السابق، ص 230.

[5] – لطيفة بورابة، ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر –دراسة تاريخية أثرية–، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع14، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، الجزائر، 2013، ص 14.

هذا ما يؤكد على انتشار الاعتقاد ببركة الأولياء، والذي لم يقتصر على فئة معينة بل شمل جميع الفئات سواء المتعلمة أو الجاهلة، فقيرة كانت أو غنية[1]، وفي هذا الصدد يقول حمدان خوجة، وهو أحد المثقفين «أن المرابطين يعلمون الناس الأخلاق ومقابل ذلك، كما يعلمونهم الصلاة ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق»[2]، فالأضرحة في مدينة الجزائر كانت عبارة عن زوايا للعلم وملاجئ للغرباء، إذ أن أكثر نزلاء هذه المنشأة من أهل العلم ورجال التدريس[3] وفارين من العدالة لتمتعها بالحرمة والهيبة ولا تستعمل داخلها القوة والعنف، بل حتى المسؤولين الكبار منهم الدايات عند حدوث الفوضى يحتمون بالضريح.[4]

ومن بين الأضرحة التي كانت تشهد إقبالا واسعا عليها نذكر منها ضريح عبد الرحمن الثعالبي من أشهر المعالم الموجودة في مدينة الجزائر لاحتوائها على ضريح أفخر أئمة وعلماء الجزائر وأوليائها الصالحين الذي كانت له مكانة لدى مختلف فئات المجتمع، يقع في مدينة الجزائر يحد شمالا شارع ابن شنب وجنوبا ثانوية عبد القادر وغربا حديقة براغ وشرقا شال الأحمر، كان بمثابة مسجد وضريح خلال العهد العثماني.[5]

وقد أصبحت زاوية الثعالبي وضريحه مقصدا للزوار وملتقى الزائرين ومجمع طلاب البركة والشفا، ومجمع للذكر وإقامة المولديات وإلقاء الموشحات الدينية، وحظيت بأوقاف كثيرة من طرف السكان، ومن السلطة التي باركتها لشهرتها واعتدالها.[6]

---

[1] – Fanny Colonna, Les Versets de L'invincibilité. permanencr et changements religieux dans L'Algérie Contemporaine. Presse de Fondition Nationale des Sciences Politiques, 1995, p 59.

[2] – ياسين بودريعة، المعتقدات في كرامات الأولياء لمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع 40، ديسمبر 2013، ص 369.

[3] – نفسه، ص 371.

[4] – نفيسة دويدة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة جزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع68، الجزائر، 2015، ص ص 16، 30.

[5] – سمية خذران، نماذج من الأضرحة العثمانية في بعض المدن الجزائرية، مجلة الحوار المتوسطي، معهد الآثار، جامعة الجزائر –2–، الجزائر، 2020/12/21، ص 86.

[6] – نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص 25.

وكان الضريح محل إقبال الجزائريين من مختلف الفئات من أجل توفير الأمان وردع الأعداء ودفع البلاء عن المدينة، والشفاء من الأمراض الجسدية والنفسية، وحل المشاكل الاجتماعية والعائلية[1]، وكانت تقام فيه طقوس خاصة منها تقديم الأضاحي والوفاء بالندر وإعطاء الصدقات من الملابس وغيرها من الأشياء، إشعال الشموع ووضع الحناء وإشعال أنواع البخور لطرد الأرواح الشريرة والشياطين، وتنقية النفس[2]، ومن الطقوس كذلك إطلاق المدافع عند عودة الغائبين في البحر، وحملهم قطع الأقمشة وتعليقها في السفن للتبرك بها، وتقديم الغنائم لفائدة الضريح كعربون له[3]، والقيام بالحضرة وهي تجمع الفقراء للذكر والقيام برقصات وفق حركات موزونة توزع الحشائش قصد تحريك مشاعر الناس والدخول في موجة من البكاء والصراخ وغيرها من الأشياء.[4]

أما عن الاحتفال بالأعياد والمناسبات، فكان أهالي مدينة الجزائر يقصدون ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي عند خروج العروس تزف منه إلى بيت الزوجية، وكذلك المزيود والختان والمولد النبوي الشريف وختم صحيح البخاري، حيث يقومون بفرشه ويحتفلون بالطبل والبندير، وتتنوع إلقاء الموشحات الأندلسية والغرناطية، هاته هي أغلب الطقوس الممارسة في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي[5]، والتي لا تختلف عن الطقوس المقامة في الأضرحة الأخرى.

---

[1] – ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 372.

[2] – جيلالي سراج، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية –ضريح سيدي يوسف شريف أنموذجا–، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، إشراف: سعيدي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامع أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014–2015، ص 99.

[3] – نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص 28.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 489.

[5] – عبد الرحمن الثعالبي: هو أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف ينتمي نسبه إلى قبيلة الثعالبة التي استوطنت متيجة قبل دخول العثمانيين، ولد سنة 786هـ/1385م، بيسر شرق مدينة الجزائر، بدأ تعليمه في مدينة الجزائر ثم بجاية، زار المشرق لأجل طلب العلم ومصر، ثم عاد بعد عشرين سنة وتولى تدريس الطلاب، كان متميزا بثقافته الواسعة في مختلف العلوم الشرعية، ومن مؤلفاته: الحسان في تفسير القرآن، والعلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآخرة، توفي سنة 875هـ/1479م، ينظر: وهيبة خليل، أضرحة وزوايا مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية– جرد وإحصاء مجلة البحوث والدراسات العلمية–، ع1، جامعة يحي بفارس، المدية، 30 جوان 2017، ص 09.

وكما هو معلوم، فإن زيارة الأضرحة هي عادة يومية في أي وقت، والفرد يقصد الضريح سواء بمفرده أو مصحوبا بأحد أفراد عائلته، وبحكم تعدد الأضرحة بالجزائر، فقد خصصت أيام من أجل زيارة أكثر من ضريح، خاصة وأن سكان مدينة الجزائر زاد اعتقادهم بالأضرحة وزيارة أكثر من ضريح من أجل طلب الشفاء وحل مشكلة ما.[1]

أما بخصوص الزيارات الجماعية، فلا يمكن أن تتم إلا بمواعيد محددة تسمى الموسم أو الحضرة أو الركب، فهو عبارة عن احتفال ديني يحتفل به الناس في وقت معين، ويستحب استخدام أزياء معينة.[2]

وصفوة القول أن للأولياء تأثير على سكان مدينة الجزائر في مختلف النواحي الاجتماعية ومس ذلك جميع الفئات والطبقات، وهذا ما أدلى إلى زيادة الاعتقاد بالأولياء وبقدراتهم الخارقة، ونسج حولهم أساطير، هذا ما جعل الناس يلجؤون إلى الأضرحة لطلب الشفاء وحل مختلف المشاكل، وبالتالي زيادة التشبث بهذه المزارات، ويعود ذلك إلى قلة الأطباء، فالحكام لم يشجعوا مهنة الطب والمداواة واعتمدوا على الشعوذة والسحر.[3]

[1] – ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص ص 88–89.

[2] – شهرزاد رفاف، التراث اللامادي العثماني في الجزائر –دراسة تاريخية أنثروبولوجية–، حوليات جامعة الجزائر–1–، ع5، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2020/12/31، ص 870.

[3] – ياسين بوذريعة، المرجع السابق، ص ص 69–70.

الفصل الثاني

الاحتفالات الدينية

أولا: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

ثانيا: الاحتفال بحلول شهر رمضان

ثالثا: الاحتفال بختم صحيح البخاري

رابعا: الاحتفال بالأعياد: عيد الفطر-عيد الأضحى-

تعددت الاحتفالات بالمناسبات الدينية في مدينة الجزائر وتنوعت طقوسها وطرق الاحتفال بها، فهي بمثابة إعادة البعث للدين وإبقائه حاضرا في نفوس الناس، وتثبيته كعادة يومية ودورية، ولقد حافظت الطقوس والأعياد والشعائر على الدين، فلولاها لاختفى الدين وأيضا ساهمت في تقوية الروابط الاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع.

وتنقسم الاحتفالات الدينية إلى احتفالات دينية عامة وخاصة، لكن سنكتفي في هذا الجزء على وصف الاحتفالات العامة لكونها تعبر عن أمة كاملة يجمعها دين واحد، وسنخص بالذكر مجتمع مدينة الجزائر، وكيفية احتفاله والطقوس التي يقوم بها.

أولا: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

يعتبر المولد النبوي الشريف من أهم الأعياد التي يحتفل بها، وذلك بحكم مولد خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، فتقام العديد من الاحتفالات والطقوس، سواء بالمنازل أو في المساجد عن طريق إلقاء خطب تخص سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجرى الاحتفال بالمولد بعد ثلاثة أشهر قمرية وثلاثة عشرة يوما بعد عيد الأضحى، ويحتفل سكان مدينة الجزائر عن طريق إشعال الشموع والقناديل في مساجد المدينة والمنازل، وتحضير الكسكس وتناوله جماعيا في المنزل.[1]

أول من سنّ الاحتفال بالمولد، هو القاضي سبتة أبو العباس في المغرب الإسلامي، وذلك عن المراسيم التي وأب عليها المسلمون ببلاد الأندلس، وكان الاحتفال كوسيلة من أجل ردع المسلمين على اتباع المسيحيين، وقد انتشرت هذه العادة مع الزمن بين بلدان المغرب.[2]

وقد كان الاحتفال يستمر أياما يتلى فيها القرآن الكريم وتنشد الأشعار العيديات "المولديات"، وهي قصائد خاصة بهذا اليوم وتلك الليلة وتنحر الذبائح وتقام الولائم حتى

[1] – فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص 356.

[2] – أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تر: مصطفى السقا وآخرون، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة العربية ودولة الإمارات، ص 1939، ص 39.

صلاة الفجر[1]، فالمولد النبوي الشريف عيد ثالث بالنسبة للأطفال، فالمدارس كلها مزينة بالأعلام والأزهار، ويقف التلاميذ أمامها ويحملون مسدسات يسددونها نحو المارة، فيدفعون لهم النقود هدية، وإذا كان المار يهوديا أو يهودية ينزع حذاءه ويغني ويعثر من الأطفال المارة ويرشون على وجوههم الماء المعطر لتقلقي الهدايا.[2]

ومن عادات أهل مدينة الجزائر حسب ما ذكره ابن حمادوش في رحلته أنهم في هذه المناسبة يكثر الضرب على الطبول في الأسواق ووضع قباب الشمع كل منهما بلون الخضراء والحمراء ويعظمون المولد النبوي الشريف بالذبائح وإقامة الولائم، كما يستعملون الطبالين والعياطين وآلات الطرب في السوق كما ذكرنا سابقا[3]، ويجتمع المدرسون مع علمائهم في المدينة بالجامع الكبير بموكب يجوب الشوارع وكل حاملا مشعلا، ويردون مديحا دينيا في حق الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم مع حملهم هرما محلى بأكاليل الورد متبوعة بموسيقى آلية تبعا للنمط التركي، وتزيين البيوت الواقعة في زوايا الشوارع بقماش النجود وتشعل المصابيح في جو بهيج.[4]

وكانت الكتاتيب القرآنية تزين وتضاء بالشموع في هذا المولد، ويجتمع الأولاد للصلاة على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعض الأولاد ممن هو حسن الصوت عشرا من القرآن الكريم.[5]

ويذكر حسن الوزان أن الشعراء كانوا ينظمون قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فيجتمعون في الصباح الباكر من يوم العيد في الساحة المحتسب، ويصعدون إلى

---

[1] – أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر نفسه، ص 235.

[2] – فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832–1837م)، ط1، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 86.

[3] – عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م، ص84.

[4] – جيمس ولسون ستيفن، المصدر السابق، ص 247.

[5] – أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ج12، المغرب، ص 1981، ص 48.

المنصة التي يجلس عليها، ثم يأخذ كل واحد منهم في إنشاء قصيدته أمام جمهور غفير[1] خلال هذه المناسبة يتم تحضير مأكولات خاصة، والتي تشمل أنواع محاسن الطعام على الألوان التي تشتهيها الأنفس وتستحسنها الأعين وتلذ بسماعها الأذن[2]، تكون هذه الأطباق عادة تقليدية كالكسكس باللحم، كما تكثر الصدقات والفقراء والمساكين وتجهز الأطعمة لهم.

ومما لاحظنا أن العادة في هذا الاحتفال بهذه المناسبة الدينية، يكون عن طريق الذبح وإقامة الولائم وإلقاء الخطب والقصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كما يتم استحضار الشموع كدليل على إحياء تلك الليلة المباركة، كما يتم تحضير أطباق تقليدية كالطمينة والبقلاوة وغيرها، وصنع ألعاب للأطفال من أجل الاحتفال بهذه الليلة المباركة.

ثانيا: الاحتفال بحلول شهر رمضان

شهر رمضان، شهر الرحمة والمغفرة والبركة والعبادة والصيام، وفيه تنشرح الصدور وتزول البغائض وتصفى النفوس من كل أنواع الحقد والكراهية، وكان لهذا الشهر الفضيل نكهة خاصة عند المسلمين بصيام أيامه وقيام لياليه مصداقا لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ... ﴾[3]، وفي الحديث النبوي الشريف: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له من تقدم من ذنبه»، ومن هنا تتضح مكانة وأهمية شهر رمضان وقدسيته لدى سكان مدينة الجزائر.

ويتم الإعلان عن شهر رمضان، إذ ثبتت الرؤية، وهذا ما أورده الونشريسي بقوله: «أنه إذا ثبتت الرؤية في إحدى قرى البادية "وخصوصا هلال رمضان أو شوال" يبادر قوم بإيقاد النار لإعلام القرى المجاورة برؤيته»[4]، ويشير شلوصر أنه بمجر رؤية الهلال يعلن

---

[1] – حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج:2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص 260.

[2] – أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ص 245.

[3] – سورة البقرة، الآية 185.

[4] – أحمد بن بحي الونشريسي، المصدر السابق، ص 412.

عن بداية الصيام بطلقة مدفع ويبدأ الإمساك في الثالثة صباحا بعد صلاة الفجر، فينقعون عن الأكل والشرب، وفي الساعة السادسة يعلن عن الإفطار بطلقة مدفع أيضا.[1]

وفيما يخص مائدة الطعام أو الإفطار، فإن الصائمين كانوا يتناولون الكسكس بالزيت ويضاف له اللحم المقلي والفواكه والبوراك والقطايف والبقلاوة والزلابية، ويكثر في شهر رمضان تحضير الحلوى، إذ يعتبر موسما للحلويات بعد الإفطار، وينصرف الأهالي إلى الاستماع إلى الموسيقى طيلة شهر رمضان، ويستمتعون بمشاهدة العروض الهزلية والرقص[2]، وهذا ما وصفه الأسير كاثكارت، حيث جذبته أجواء رمضان وسهراته بقوله: «المؤمنين الصائمين بالنهار يحولون الليل إلى أعراس للمتعة».[3]

وكما هو معلوم في عملية الصيام، فإن المسلمون يقومون بالامتناع عن الشرب والأكل أثناء اليوم طيلة شهر رمضان وحتى ظهور قمر الشهر التالي، وهذا الصوم ليس منهكا سوى للطبقة الدنيا، وهي جماعة البرانية الذين يلتزمون به رغم ما يقومون من أعمال شاقة، أما من هم أرفع منزلة يتجنبون هذا الإجهاد ويبقون في منازلهم.[4]

كان الجزائريون متشددين في المحافظة على الصيام متمسكين بالدين الحنيف، ومن ذلك المثال الذي ذكره الرحالة الألماني عندما استعان بأحد الجزائريين في بعض رحلاته، فأضاعوا المؤونة، فبقوا لمدة 24 ساعة بدون أكل بسهل متيجة، ووصلوا إلى مدينة الجزائر مع الفجر، فأخذت أتناول فطوري، وبعد حوالي ساعة وجد ذلك الجزائري جالسا في الميناء، فسأله: إذ تناول فطوره، فأجابه: بأن الله أمر بالصوم ولم يتناول أي شيء حتى سمع المدفع فراح يلتهم الخبز كالمجنون.[5]

---

[1] – فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 85.

[2] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص ص 67-68.

[3] – كاثكارت جيمس، المصدر السابق، ص 252.

[4] – هابنسترايت أو ج، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر، تق، تل: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007، ص 48.

[5] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 67.

لم يكن شهر رمضان مخصصا للعبادة فحسب، بل استغل هذا الشهر للقيام بالعديد من النشاطات، وذلك من أجل كسب لقمة العيش، حيث أنه في وسط شهر رمضان يقوم المسلمون وخاصة الأتراك وغير المسلمين من أصحاب أهل الذمة بصنع جمال من القش والخشب يلفون بحايك حتى تصبح الجمال حقيقية، ويتجهون إلى قصور الأغنياء ورجال الدولة المهمين يلعبون ويغنون حتى يتحصلون على نقود منهم، ثم يتقاسمونها فيما بينهم.[1]

ومن عادات شهر رمضان إقامة حفلات القرقوز التركي بعد الإفطار، إضافة إلى ختم صحيح البخاري في المساجد مع إضاءة الشموع فيها وفي غيرها، وما ميز هذا الشهر الفضيل هو الحركية ليلا، حيث كان الجميع يخرجون ويسهرون سواء رجالا أو نساء[2]، وكانت الحفلات التي كانوا يذهبون إليها لا تتسم بالصخب والضوضاء، فلا وجود للراقصين والراقصات، ولا للموسيقى إلا نادرا، فهذه الاحتفالات تقتصر على تناول الأطعمة وتبادل الأحاديث.[3]

ومن أهم أيام شهر الصيام والقيام العشرة الأواخر التي ينتظرها المسلمون كل سنة، وذلك من أجل إحياء ليلة القدر والتي يكثر فيها ذكر الله والدعاء، ويحتفل فيها الناس بإشعال الشموع والقناديل ويحيون الليل حتى قروب الفجر[4]، ومع نهاية الشهر يصعد الأتراك إلى ثكناتهم كل ليلة ليراقبوا بعيونهم وبشوق كبير نحو الغرب لاكتشاف الهلال الجديد الذي يسمى هلال شوال، وينتهي الصوم في حال إثبات رؤيته كإعلان لنهاية الصوم.[5]

وعليه يمكن القول أن شهر رمضان يعتبر من الاحتفالات الدينية المميزة، حيث كان سكان مدينة الجزائر يحيون هذا الشهر الكريم بالنشاطات المختلفة، والسهرات وأيضا العبادات وقراءة القرآن، وممارسة طقوس مختلفة خلال شهر الصيام، غير أنه ما يعاب على

---

[1] – Haedo, op.cit, p 211.

[2] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 68.

[3] – هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 87.

[4] – عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 125–126.

[5] – جيمس ولسون ستيفن، المصدر السابق، ص 264.

الكتابات التاريخية غياب أي أنشطة ثقافية تمارس خلال هذا الشهر الفضيل، والتركيز على عادات الأكل والحفلات، ولازالت العائلات العاصمية تحتفل بهذا الشهر الكريم تقريبا بنفس هذه العادات، خصوصا وأن هذا الشهر الفضيل يرتبط بالجانب الروحي المتمثل في قراءة القرآن والتراويح.

ثالثا: الاحتفال بختم صحيح البخاري

تمسك سكان مدينة الجزائر ببعض العادات الدينية المتوارثة عن آبائهم وأجدادهم، ولعل من بين العادات ختم صحيح البخاري خلال شهر رمضان من بداية الشهر إلى غاية ليلة السابع والعشرين، والذي يعتبر أول مصدر بعد السنة النبوية.

التزم الجزائريون بسرد وختم صحيح البخاري في المساجد وإضاءة الشموع فيها، ويتم ختمه في ليلة القدر يوم السابع والعشرين من رمضان، إذ يذكر ابن حمادوش أنه يتم السرد من طرف المملي[1]، فيذكر عندما حضر يوم السبت الثاني عشر قرأ المملي سيدي محمد بن سيدي الهادي فضائل الصحابة حتى وقف على تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بخديجة، بعدها قرأ سيدي أحمد العمالي من غزوة خيبر إلى غزوة الطائف، وفي يوم آخر تحدثوا عن حادثة البزاق في الثوب، وهكذا كل مرة يقرأ أحد المملين مع وجود درس جديد، إذ أن عدد أحاديث البخاري 7275 حديثا، ويتم قراءتها مع حلول الشهر إلى غاية أواخره.[2]

ولقد تحدث هايدو عن ليلة السابع والعشرين، والتي هي احتفال كبير بختم صحيح البخاري، بالإضافة إلى توزيع الصدقات على الفقراء بما فيها المأكولات في كل أرجاء مدينة الجزائر.[3]

---

[1] – عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 122.

[2] – نفسه، ص 123.

[3] – الإمام البخاري: هو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بوداربة (94هـ) ببخاري درس على يده عدة مشايخ، انتقل من الشام إلى مصر ثم الجزيرة والبصرة والحجاز وغيرها، وله سعة في الحفظ وهو أول من صنف في الصحي، ينظر: محمد جمال الدين القاسمي، حياة البخاري، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دار النفائس، لبنان، 1992، ص 14.

عقب ختم البخاري في ليلة السادس والعشرين من رمضان يقومون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كالآتي: «اللهم صلي أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون...» وبعدها يرش الخدم الناس بماء الورد.[1]

كانت تقام احتفالات للأطفال في هذه الليلة بمناسبة ختمهم القرآن الكريم، إذ يذكر حسن الوزان عند ختم طفل القرآن وحفظه كله، فإنه يقيم وليمة كبيرة يدعوا إليها جميع التلاميذ يلبس الطفل فيها اللباس فخما وكأنه أمير، ثم يركب الأطفال الآخرون على متن خيول ويصحبونهم إلى قاعة الاحتفال وهم ينشدون أناشيد في تمجيد الله ونبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ويقدم كل واحد منهم هدية للمعلم، كما يقدم له الطفل صاحب الاحتفال كسوة جديدة.[2]

لهذه الليلة منزلة كبيرة عند الجزائريون، فيقمون باحتفال خاص وذلك بعد صلاة العصر، إذا يأخذون الشموع في أيديهم ويطوفون بها البلاد، وأحدهم ينشد والبقية يرفعون أصواتهم بالصلاة والسلام على النبي، ثم يدخلون المسجد ويضعون تلك الشموع ويشعلوهم ويحيون الليل كله إلى الفجر، فيقرؤوا ما تيسر من الفواتح ثم يصلوا الفجر، فإذا فرغوا من التسبيح بعد الصلاة تلو من القرآن حزبا، فعندما ينتهوا يأتي موقد القناديل بأحد تلك الشموع فيفتح به كتابه، ويقرأ حتى آخر الختم، ثم يذكرون سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة، وفي هذه المدة يرشون ماء الورد ثم يشرع الإمام بالدعاء، فيقرؤون ما تيسر من الفواتح، ثم ينصرفون ويذهبون إلى قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي فيحضون ختم صحيح البخاري أيضا ويتهيؤون للعيد.[3]

[1] – عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص ص 122–127.

[2] – حسن الوزان، المصدر السابق، ص 261.

[3] – عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 126.

إذ برؤية قرص الهلال في رمضان، يعتبر الصيام منتهي ويحل موعد العيد الصغير[1]، فصحيح البخاري شمل أحاديث السنة على أبوابها في مسند بجميع الطرق، وكل باب يتضمن الأحاديث النبوية، وفي كل باب أسانيد وطرق وشروح، وله قيمة واسعة واشتهر في الآفاق، وقيل فيه:

صحيح البخاري لو نصفوه لم خط إلا بماء الذهب
أسانيد مثل نجوم السماء أمام متون كمثل الشهب
وأثبت من عدالته الرواة وصحة رواياته في الكتب
وأبرزت من حسن ترتيبه وتبويبه عجبا للعجب.[2]

ولا زالت مثل هذه القصائد تروى في معظم الزوايا والمدارس القرآنية المنتشرة في كل أنحاء الجزائر.

رابعا: الاحتفال بالأعياد: عيد الفطر-عيد الأضحى-

بعد انقضاء شهر رمضان التي كان تقام به عادات خاصة تختلف عن باقي الشهور الأخرى، وأهم ما ميزه هو إحياء ليلة القدر بقراءة القرآن والتسبيح، وتختلف الأعياد الدينية حسب السنة الهجرية والسنة القمرية أقصر من السنة الشمسية، حيث عند انتهاء رمضان واحتفالياته، ومع غياب الهلال وبزوغه من جديد يحل العيد، فالمناسبات الدينية تتضمن عيدين، هما عيد الفطر وعيد الأضحى، فلهما أهمية كبيرة لدى سكان الجزائر بصفة عامة، ومدينة الجزائر بصفة خاصة، حيث كان يمثلان مناسبة اجتماعية كبرى يحتفل بها لمدة أيام.

كانت الأعياد يطلق عليها مصطلح "بيرامات" 'Bayrans' من الكلمة التركية الخاصة بالعطل الدينية، وكان العيد الأكبر هو قربان بيرامي "Kurban Bayrami"، ومعناه عيد المسلم الكبير للتضحية، وهو عيد الأضحى، ويحتفل فيه بذكرى التضحية المقدسة من قبل

[1] – هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 65.

[2] – محمد جمال الدين القاسمي، المصدر السابق، ص ص 64-66.

إبراهيم عليه السلام بكبش بدل ابنه إسماعيل عليه السلام، والعيد الآخر أي العيد الصغير هو سكر بيرام (Seker Bayrami) أي عيد السكر، وقد سمي هكذا بسبب تبادل الهدايا وقطع الحلويات المصنوعة من السكر، ويكون هذا بمناسبة انقضاء شهر رمضان المبارك.[1]

1-الاحتفال بعيد الفطر:

بعد ثبوت رؤية الهلال يخرج الناس زكاة فطرهم، ففي اليوم الأول يخرج الناس لأداء صلاة العيد في المساجد[2]، وجرت العادة في صبيحة اليوم الأول من عيد الفطر يذهب الناس إلى إلقاء السلام والتحية على الداي، كما توجه الدعوة إلى قناصل الدول للمشاركة في الاحتفالات كممثلين لدولهم.[3]

يستيقظ السكان في الصباح على أنغام الموسيقى ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من الثياب خاصة الأطفال إذ يرتادون الثياب المطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف والقطن، مما يجعله في منتهى الروعة، كما تخرج النساء والفتيات المحجبات.[4]

وبعد صلاة العيد، وتبادل التهاني يذهب الناس إلى زيارة المقابر والأقارب والجيران، وفي باب الواد يقوم عجوز تركي بإدارة عجلة وفوقها عدد من الأطفال يلعبون، أما أبناء الأغنياء فيجلسون على عربات يقودها الزنوج والبسكريون[5]، ويقوم الزنوج في هذه المناسبة بإيقاظ الداي من نومه صبيحة العيد من خلال عزفهم للموسيقى أمام القصر، مثلما يقومون بذلك أمام بيوت الأغنياء من الحضر والكراغلة.[6]

---

[1] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص120.

[2] – محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1995، ص 377.

[3] – وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 67-68.

[4] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 69.

[5] – نفسه، ص 70.

[6] – بن عتو بلبراوات، المدينة والريف...، المرجع السابق، ص 142.

وبعد ثمانية أيام من الاحتفال بهذا العيد، أو ثلاثة على الأقل يمتطي الرجال والشباب الأحصنة مرتدين أغلى الألبسة ثم يخرجون خارج باب الوادي أي على شاطئ البحر يلعبون بالقصب ويجتمع عامة الناس للرقص، لكن العرب لا يأتون لهذه التجمعات وكذلك الأتراك في اعتقادهم أن كرامتهم لا تسمح لهم بذلك رافضين الرقص في الأماكن العامة.[1]

أما المسيحيون فإنهم يذرفون الدموع كي يخفف الله غضبه عليهم ويرتادون أقنعة لتمثيل عدة شخصيات ويرقصون ثم يرمون حبات التفاح بالرماح والخاسر يدفع ثمنا وآخرون يصنعون عرائس القرقوز ويلعبون بعض الألعاب السحرية البلهلوانية ممتعين كثيرا من المسلمين بهذه الاستعراضات التي تبهرهم.[2]

فالمسلمون في أيام العيد يشعرون بالفرح والسرور، فالعيد لا يسبب لأحد الرهبة أو خوفا، بل على العكس كان الآباء من الحضر[3] ينظرون إلى صغارهم المفرحين في ابتهاج ويمسحون لحيهم في تمام الرضا ولا يتركون مجالا لكل ما يعكر مزاجهم وسرورهم الأبوي، بينما النساء من الحضر لا يشاركن مباهج العيد ولكن يتفرج من منافذ مختلف بوجوه محجة لا يرى منها إلا سواد عيونهن السوداء.[4]

وعليه يمكن القول بأن عيد الفطر هو مناسبة عظيمة، حيث ينتشر الفرح والسرور في مختلف أرجاء المدن، وأيضا احتفالية لتجديد العلاقات العائلية والاجتماعية، والتعاون وإزالة الأحقاد، فبعد شهر الصيام والرحمة والعبادة يتوج هذا الشهر الفضيل بحلول عيد الفطر الذي يفطر فيه المسلمون ويحتفلون به تعبيرا عن فرحتهم في أجواء مميزة تليها مناسبة أخرى ألا وهي عيد الأضحى المبارك.

---

[1] – Haedo, op.cit, p 212.

[2] – Ibi, p213.

[3] – الحضر: من الفعل الثلاثي حضر، ومعناه: الحضر خلاف البدو وهو يدل على الإنسان، ومنه الحضارة أي السكون بالحضر، ينظر: أبي القاسم الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، ج1، مكتبة نزار مصطفى، الباز، السعودية، د.ت، ص 161.

[4] – هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 119.

2-الاحتفال بعيد الأضحى:

يحتل عيد الأضحى الذي يسمى محليا بالعيد الكبير، مكانة كبيرة في الجزائر قبل الدخول العثماني وإلى يومنا هذا وهو آخر شهور السنة الهجرية وأكثرها قداسة، إذ يتم خلاله الحج إلى بيت الله الحرام، ويقام خلاله يوم النحر الذي يعتبر سنة مؤكدة يؤديها المسلم في جميع أنحاء المعمورة.[1]

يعتبر العيد الأضحى من أكبر الأعياد، وهو بيرامي بالتركية أو قربان بيرامي، ويتم الاحتفال به في العاشر من ذي الحجة للسنة الهجرية، واليوم الذي قبله أي التاسع من هذا الشهر يطلق عليه عرفة، يصوم فيه الكثير من الناس وتخرج فيه بنات المساكين لسؤال الصدقة وهن ينشدن.[2]

وفي هذا العيد يتم ذبح الخرفان وأكل لحومها بصفة فردية أو جماعية، وقد شبه هابنسترايت هذا العيد بعيد الفصح لدى اليهود، فذكر أن المسلمون يحيون هذه المناسبة إجلالا لذكرى تضحية إبراهيم بالخروف بدل ابنه إسماعيل تقربا لله عز وجل.[3]

وتبدأ الاحتفالات بهذا اليوم بإطلاق نيران البنادق بكثرة بعد بزوغ الفجر، ويستقبل الداي التهاني والهدايا من أعضاء حكومته وممثلي الحكومات الأجنبية الساكنين في العاصمة، ثم يذهب مع وجهاء المدينة وأوجاقها إلى جامع الحواتين حيث يقع ذبح الأضاحي تحت وقع طلقات البنادق والموسيقى العسكرية.[4]

ويدوم الاحتفال ثلاثة أيام في المدينة وسبعة في القرى والأرياف، وبعد الانتهاء من الخطبتين وصلاة العيد يذبح الإمام أضحيته بيده خارج الجامع الكبير عند باب ويراه

---

[1] – عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 143.

[2] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 120.

[3] – هابنسترايت أو ج، المصدر السابق، ص 79.

[4] – منصور درقاوي، المرجع السابق، ص 42.

المصلون ثم يذهبون لذبح أضحيتهم[1]، وبعد الصلاة وذبح الأضحية تفتح أبواب قصر الداي على مصراعيها للعامة، فيقدم الكسكسي ويوزع قسم من الأضحية للفقراء، وقسم للضيوف ويترك جزء كبير لكي يملح ويجفف في الشمس.[2]

كانت تجرى في هذه المناسبة ألعاب شعبية وبهلوانية ويتم تنظيم مبارزات بين جنود الأتراك، يفوز بها من يستطيع إمساك رقبة خصمه وطرحه أرضا، فيحظى بمباركة المتفرجون ويعطونه كيسا من القروش، وهو مبلغ غير بال، ويمارسون هذه اللعبة أيضا يوم الجمعة من غير عيد الأضحى، إلا أن الداي والباشا لا يحضرانه إلا في الأعياد[3]، وكذلك لعبة العصي التي كان يحضرها الباشا أيضا، كان فرسان الصبايحية يسيرون الواحد تلوى الآخر ويرمون عصيهم والفائز هو الذي يصيب صاحبها، وبنهاية اللعبة يقضي الباشا ورجال حكومته إلى بعد ظهر ذلك اليوم في الأكل والشرب واحتساء القهوة.[4]

ولصبيحة العيد أجواء رائعة، حيث يجتمع كل المدرسين مع شيوخهم وعلمائهم في المدينة بالجامع الكبير، ومنه يتشكل موكب يجوب الشوارع يحمل كل منهم مشعلا بيده ويرددون مديحا دينيا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحمل إثنان منهم هرما على أكتافهم محلى بأكاليل من الورد متبوعا بزنار صوتي وموسيقى آلية تبعا للنمط التركي، كما تزين جميع البيوت الواقعة في زوايا الشوارع بقماش النجود وتشعل المصابيح، كما تشترك في هذا الاستعراض العديد من الفرق الخاصة بالإدارة الحاكمة، ويبدأ ذلك مع الساعة السابعة صباحا حتى الحادية عشر نهارا، وينتهي الاستعراض بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم أمام أبواب الكبار من الحكومة، وتبقى الأنوار مشتعلة حتى منتصف الليل في كل دار.[5]

---

[1] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 378.

[2] – Haedo, op.cit, p 214.

[3] – هابنسترايت أو ج، المصدر السابق، ص ص 79–80.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 160.

[5] – جيمس ولسون ستيفن، المصدر السابق، ص 248.

وعليه يمكن القول في ختام هذا الفصل، أن هذه المناسبات الدينية المتمثلة في رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى كان لها خصوصية مميزة لدى الجزائريين، إذ كانوا يقومون بتحضيرات خاصة قبل مجيئها بوقت كبير، إذ كانت هذه الأعياد فرصة لأكل ما لذّ وطاب، ولبس الجديد من الثياب، إلا أنها كانت فرصة للعبادة وذلك لاتصالها الوثيق بالدين، كما تبين أيضا هذه العادات مدى تمسك الجزائريين بالسنة المحمدية وبالمذهب المالكي الذي يتبعه الجزائريون، والذي لم يتأثر بالوجود العثماني، لأن العثمانيين حتى وإن كانوا أحنافا إلا أنهم سمحوا للجزائريين باتباع المذهب المالكي، أو بعبارة أخرى بثنائية المذهب.

الفصل الثالث

المناسبات الاجتماعية

أولا: الزواج

ثانيا: الاحتفال بالمولود الجديد "المزيود"

ثالثا: ختان الأطفال (الطهارة)

رابعا: مراسيم الجنازة (المأتم)

بعد تعرضنا في الفصل السابق للعادات والتقاليد الدينية، ننتقل في هذا الفصل للحديث عن المناسبات الاجتماعية.

أولا: الزواج

كما هو معروف أن الزواج وسيلة لإكمال نصف الدين، فهو مناسبة شرعتها العقيدة الإسلامية، فسيدنا آدم عليه السلام تزوج من سيدتنا حواء، وذلك حفاظا على النسل البشري، فالله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة مكملين لبعضهما البعض، وجعل الرحمة والمودة بينهما، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.[1]

فبناء المجتمع يعود إلى النواة الأولى أي الأسرة التي تبنى على الزواج والذي يعد من أهم النظم الاجتماعية، ويذهب أرسطو إلى أن الأسرة هي أول اجتماع تدعوا إليه الطبيعة، فبالتالي مصير المجتمع صلاحه كان أو فساده قائم على هذه البذرة التي تؤسسه، فعلى المجتمع تحديد أوضاع الزواج[2]، ضمن حدود معينة يلتزم الأفراد بها.

وكانت هناك ظاهرة شائعة في خصوص العرف الزواجي في مدينة الجزائر، تتمثل في التوسط ويتم عن طريق امرأة مسنة قريبة لعائلتي الزوج وزوجة المستقبل[3]، والتي تقرب العائلتين إلى بعضهم في حالة الانسجام والتوافق، كما أن الأمهات كن يقمن بعمل ذا قيمة يتمثل في إخبار الأولياء الذين يرغبون بتزويج أولادهم حول التطور الجسمي للفتيات اللاتي كن يبلغن سن النضج عند اثني عشر أو ثلاثة عشر سنة، لأن الفتيات محكوم عليهن البقاء في المنزل وقطع أي علاقة مع الرجال.[4]

---

[1] – سورة الروم، الآية 21.

[2] – الزواج: مصدرها زوج، وهو اقتران الرجل بالمرأة تبعا لمراسيم الشريعة الإسلامية الدينية، ينظر: جيران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفه الأولى، ط7، دار العلم للملايين، لبنان، 1992، ص 423.

[3] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 116.

[4] – نفسه، ص 117.

ويتم تخطيط الزواج بواسطة الأمهات والعلاقات النسوية، حيث يلتقين في زيارات متبادلة في المنازل أو في الحمامات العمومية، أين يستغرقن عدة ساعات في الأحاديث الممتعة من بينهما عن تزويج أبنائهم وبنتاهم وعن تحضيرات الزواج.[1]

وبالنسبة لتعدد الزيجات، ذكر شارل أن أغلب الرجال المسلمون يكتفون بزوجة واحدة تلحق بها عدد من الإماء، والقليل منهم يعددون زوجاتهم، ذلك راجع لمركز الرجل الاجتماعي وثروته[2]، وعليه فحفلات الزواج كانت تختلف حسب الظروف المالية للعائلات وحسب المجموعة الاجتماعية المعينة، ربما كما هو متوقع حسب التنوع المدني والريفي.[3]

ويسبق حفلة العرس الخطبة، وهي المبادرة الأولى للزواج التي تقع بدار أحد الطرفين المتصاهرين أو زاوية أو مقهى، ويجتمع ولي الشاب وولي الشابة ويتفقان على الصداق أي المهر، فهو حق مالي واجب شرعا على الزوج اتجاه زوجته مقال زواجهما، وهو ما ينص عليه الكتاب والسنة.[4]

إذن فالخطبة أول وسيلة لدخول الشاب إلى بيت الفتاة، فلم تكن هناك علاقة تجمع بين الرجل والمرأة قبل الزواج، هذا ما أكده الأسير تيدنا في مذكراته «من شروط الزواج حتى لا يكون حراما أن لا يسبق للزوجين أن يرى بعضهما البعض، وبعد اتفاق الشاب مع والد البنت على المبلغ الذي سيدفعه له مقابل تزويجه ابنته».[5]

---

[1] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص 88.

[2] – منصور درقاوي، المرجع السابق، ص 46.

[3] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 117.

[4] – المهر، هو المال الذي تستحقه الزوجة على دفعه من الزوج بالعقد عليها أو بالدخول دخولا حقيقيا، وله تسع أوصاف، الصداق، المهر والأجر، العناء، العلائق، فريضة، العقد والمهر، وفي الشرع ما أوجبه الشارع الحكيم من المال حقا للزوجة أو ما يقوم مقامه، ينظر: فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18من در القصبة للنشر، الجزائر، د.ت، ص 30.

[5] – تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، تر: عميراوي احميدة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 89.

وفي اليوم المحدد يذهب الأب مع ابنته والعريس إلى القاضي، فيكتب هذا الأخير اسميهما فيتم العقد، وتشتري العروس بثمنه لباسا لها وتبتاع ما تحتاج إليه من أثاث وأدوات التي تحملها إلى العريس يوم الزواج.[1]

كانت تقام طقوس مختلفة في هذا اليوم العظيم تختلف باختلاف المناطق، فالاحتفال بهذه المناسبة كان يدوم سبعة أيام، ولكن المراسيم الفعلية كانت تدوم يومين فقط، غالبا ما يكون يوم الأربعاء والخميس، ففي يوم الأربعاء يجتمع الرجال بعد صلاة العشاء في أحد الرحاب لقراءة قصيدة البردة وتزيين أصبع العريس بالحناء.[2]

وفي هذه الأثناء يقوم النساء أيضا بتحضير حفلة مثلها في دار الزوجة، تجتمع النسوة حول العروس وهن يضعن الحلي والمجوهرات الثمينة، وتقوم النساء من أهل العريس عادة أمه أو خالته بوضع الحنة على يد وأرجل العروس[3]، وقد ذكر وليام سبنسر في هذا الصدد أن حفلات الزواج الجزائرية لم تكن فقط مناسبات للعائلات كي تفتخر بثروتها وكرمها لبناتها بصداق فاخر، ولكنها أيضا جهود فوق العادة للإعجاب بالمرأة.[4]

وفي يوم العرس يقوم الزوج بجولة مرتديا جلبابا أحمرا وبجانبه سيف رفيع، كما يوجد خمار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثير الشيطان[5]، وتقام الولائم في كلا البيتين، فيذهب العريس عند الحلاق، وبعد تناول الغداء يقضون عشيتهم في الحمام، أما في دار الزوجة تقام أيضا الوليمة، إضافة إلى تقديم الشاي والقهوة وما طاب من الحلويات، كما تزور العروس الماشطة من أجل التزيين.[6]

---

[1] – فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 87.

[2] – أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، د.ط، الجزائر، 2007، ص 226.

[3] – نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700–1830م) من خلال المحاكم الشرعية، دار الشروق للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 44.

[4] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 118.

[5] – بن عتو بلبراوات، المدينة والريف...، المرجع السابق، ص 143.

[6] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 383.

وفي ذلك اليوم يجتمع الأصدقاء والأقرباء فيقوم العريس بالصلاة بمحضرهم، وينصرفون بعدها ليلتحق بالزوجة في بيتها، والمقصود بالصلوات هو عقد القرآن أو ما يعرف بالفاتحة، تنتقل الزوجة إلى دار زوجها على ظهر حصان مزين بالهودج، يرافقها الأهل والأصدقاء في موكب بهيج يحملون المشاعل ومزامير الطبول، وعند وصولها إلى باب الدار تأخذ بعناية شديدة لكي لا تطأ قدمها الأرض[1]، وعندئذ تجلس العروس وهي ترتدي رداء يلمع بالذهب، وتكون مغطاة بإزار أحمر، وابتداء من دخولها بيتها الجديد تصبح الزوجة مطيعة لأوامر زوجها ولا تعارضه.[2]

وبعد هذا اليوم يقام حفل آخر عادة يكون في السابع يسمى حفل "شد المحزم" يقوم به أحد أقارب أهل العريس الذي لا يتجاوز 15 سنة، يشد المحزم ويكون إما من الذهب أو منديل عادي، ويشترط على الزوجة بعد حفل الزواج البقاء لمدة أسبوع كامل لا يسمح لها بالخروج ولا بممارسة أي عمل من الأعمال المنزلية، وبانقضاء الأسبوع تعود إلى حياتها الطبيعية وتعتني بزوجها وأهل بيتها.[3]

وزبدة الكلام أن الطقوس الخاصة بمراسيم الزواج في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، يصعب علينا حصرها في نطاق واحد وذلك لنقص المصادر والمراجع، وأيضا اختلافها من منطقة لأخرى، إلا أنه يمكن أن نؤكد أن طقوس الزواج بقيت متوارثة وذلك بتخصيص يوم الأربعاء والخميس للزفاف، إضافة إلى حفل الحزام وزفة العروس بموكب كبير وبعض الأطعمة، حيث تناقلتها الأجيال التي جمعت فيها بين الطابع المحلي الممزوج بالعقيدة الإسلامية، هذا ما جعلها تحظى بمركز مرموق لدى سكان مدينة الجزائر بصفة خاصة، وإيالة الجزائر بصفة عامة، والذين بدورهم يقومون بتوريثها لأبنائهم من أجل التمسك بهذه العادات والتقاليد المتأصلة من جيل إلى آخر.

---

[1] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 117.

[2] – فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 87.

[3] – حسن الوزان، المصدر السابق، ص 256.

ثانيا: الاحتفال بالمولود الجديد "المزيود"

من بين المراسيم الهامة والمتداول لدى سكان مدينة الجزائر الاحتفال بولادة طفل جديد، حيث أنهم يقومون بتحضيرات خاصة تحسبا لهذا اليوم المنتظر.

يعد يوم الولادة بشرى سارة للعائلة، وتشير بعض الدراسات التاريخية أن المرأة لو وضعت مولودا ذكر تذبح دجاجة، وإن كان المولود أنثى تذبح ديكا، وتقوم القابلة بدق مسمار في الموضع الذي وضع فيه الطفل بهدف إبعاد الأذى والشر عنه.[1]

وفي اليوم السابع، تذبح شاه للعقيقة إذا كان المولود ذكرا[2]، وقبل الذبح يجب على الأب أن يقدم الصدقات للفقراء والمساكين، وكذلك إذا كان المولود الجديد ذكرا يسود جو من الفرح لدى الأب، وتعبيرا عن هذه الفرحة يقوم بإطلاق طلقة بارود ويحمد الله على ما رزقه إياه[3]، وبعد أن يستدعي رب العائلة أصدقاؤه والضيوف والحلاق ليحلق للطفل وتقام الوليمة[4]، وتقدم فيها لحم العقيقة والفول والخبز لكل من الأقارب والجيران في احتفالية كبيرة.[5]

وتقام لهذه المناسبة حفلة تأتي فيها النساء وتقدمن هدايا للمولود ولأمه النفساء، ويدعون لها ولمولودها بالصحة والعافية وطول العمر، كما يستدعى الرجال لتناول الغداء أو العشاء.[6]

ففي اليوم السادس من الولادة تخضب أحد أيادي أو أرجل المولود بالحناء، ويدعون ذلك بيوم الفاطات، ويتناول المدعون الطعام[7]، ويؤتى بشخص اسمه أحمد أو محمد ليؤذن في أذن الطفل اليمنى ويلفظ الإقامة في اليسرى، ويلبس الطفل ولأول مرة منذ ولادته ملابس

---

[1] – أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 227.

[2] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 380.

[3] – نجاة لعجال، الطقوس الاحتفالية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518–1830م)، دراسة في الاحتفالات الشعبية والدينية، رسالة ماستر في التاريخ، جامعة الوادي، 2013–2014، ص 47.

[4] – حسن الوزان، المصدر السابق، ص 257.

[5] – أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 227.

[6] – محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 381.

[7] – نفسه، ص ص 380–381.

جديد، ويمنح له اسمه، وفي العادة المولود الأول يسمى على اسم جده لأبيه إذا كان ذكرا، وعلى اسم جدتها لأبيها إذا كانت أنثى أما إن كان المولود فتاة فإن الرجال لا يكلفون أنفسهم لزيارة الأب، بل يرسلون نساءهم إلى بيته لتهنئة والاطمئنان على الأم ومولودها.[1]

ويتضح من خلال التطرق إلى هذه المناسبة السعيد وإظهار طقوسها، أنها نابعة من العقيدة الإسلامية والسنة النبوية مثل العقيقة، تسمية المولد، قص الشعر، الآذان.

ثالثا: ختان الأطفال (الطهارة)

عقب الاحتفال بالمزيود وإقامة طقوس ومراسيم خاصة بهذا الحدث السعيد، تتوجه الأسرة إلى الختان الذي اعتبرته بعض العائلات في مدينة الجزائر بمثابة العرس الأصغر للطفل، والعرس الأكبر يوم زفافه، لذلك حرصت على الاحتفال بهذا اليوم وإقامة حفلات وولائم جمعت فيها مختلف الفئات من كبار وصغار وإدخال الفرح والسرور في نفوس الفقراء.

والحق أن الباحثين قد اختلفوا حول أصل الختان، فمنهم من يرجعه إلى الفراعنة، ومنهم من يرى فيه طقسا يهوديا، بدليل وروده بشكل واضح في التوراة.[2]

وقد جرت العادة في الديانة الإسلامية بأن يؤدي الطفل الطهارة قبل العشر سنوات، حيث لا يختن إلا في السن الرابعة[3]، ويدعى الشخص الذي يقوم بهذه العملية البشار أو الحجام، وهذا ما ذكره الرحالة الألماني فاغنز موريتس لحفل ختان بمدينة الجزائر بقوله: «أن ختان الأطفال يتم على يد رجل يدعى البشار»، وما هو برجل دين يكفاؤه الأثرياء بهدية لا تزيد عن الثمانية "بوجو"[4]، في حين يختن أولاد الفقراء مجانا.[5]

---

[1] – أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 227.

[2] – يذهب المؤرخ الإغريقي الشهير هيرودوت الذي عاش في نهاية القرن 5 ق.م، إلى القول بأن أصل الختان من القلاشدة، أي سكان شرقي البحر الأسود، والمصريون وأهل الحبشة، ثم انتشر هذا الطقس إلى مناطق أخرى: ينظر: عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص 162.

[3] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 74.

[4] – بوجو: عملة قديمة لمدينة الجزائر ما تعادل 1 فرنك و60 سنتيم، ينظر: درقاوي منصور، المرجع السابق، ص 62.

[5] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 74.

كان سكان مدينة الجزائر يقيمون احتفالا كبيرا، خاصة إذا كانت العائلات من طبقة اجتماعية رفيعة، أو كانت ميسورة الحال، بحيث دعوة جميع السكان من كل الطبقات الاجتماعية.[1]

وبالعودة إلى البعد الاجتماعي للختان، فإن نفقات الختان توازي عرس الزواج، لذلك يلجأ بعض الآباء إلى ختان أولادهم الصبية دفعة واحدة، مما يجعل سن الختان يتراوح بين الأشهر الأولى إلى غاية 7 سبع سنوات وأحيانا أكثر، ويعمد بعض الإخوة والأقارب إلى ختان أولادهم في يوم واحد، وتقاسم تكاليف الحفل الذي يعتبر ضروريا[2]، ومدة الاحتفال سبعة أيام، هذا ما أشار إليه أحمد الشريف الزهار بمنسبة ختان ابنيه، حيث قام بحفل كبير وأمر بدعوة سكان المدينة وجلب الآلات الموسيقية من العرب والترك، وكانوا يطعمون لمدة ثلاثة مرات في كل يوم والمدافع تضرب كل يوم في جميع الحصون[3]، وأصحاب الخيل يتسابقون والبهلوانات والنوبة –أي الموسيقى– تضرب صباحا ومساء.[4]

كان الفقراء ينتظرون هذه المناسبة، فقد كانت فرصة لختان واحد من أبنائهم، بحيث يتم التكفل بجميع مصاريف الختان، ويضيف الزهار قائلا: «فأمر بختان أولاد الفقراء واجتمع منهم خلق كثير»، واستمر ختان أولاد الفقراء حوالي الشهر.[5]

أما عن لباس الطفل فإن عملية الختان لها لباسها الخاص، ويتمثل في قميص طويل وصدرية، وطربوش تركي، بالإضافة إلى المداس الذي يعرف باسم البلغة، ويراعى في هذه

[1] – أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر؟، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 82.

[2] – عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص 165.

[3] – أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 82.

[4] – نفسه، ص 82.

[5] – أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500–1900م)، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012–2013، ص 136.

الملابس لونها الذي يتراوح بين الأبيض والأخضر، وتدل هذه الألوان في اعتقادنا على الطابع الديني لهذا الطقس، فالأبيض والأخضر يرمزان إلى الصفاء والطهارة.[1]

ويتم تختين الصبي في الدار، حيث يأتي بالحجام إلى الدار ويباشر عملية التختين بحضور المدعوين الذين يعطونه النقود، وذلك من أجل أن يصبر على الألم الذي يشعر به في تلك اللحظة[2]، ولكي يتجاوز الطفل هذه اللحظة المخيفة، يضع الأب ولده في حجره، بينما يتقدم الخاتن نحوه ويحاول إثارة انتباهه "بحيلة العصفور الذي يحلق هناك"، وفي اللحظة التي تبحث فيها عين الصبي عن هذا العصفور الوهمي يكون المقص الحلاق قد قطع في حركة سريعة تلك القلفة الزائدة والنجسة.[3]

والحق أن لعملية الختان أبعاد اجتماعية أخرى تنقل الصبي من عالم الأطفال إلى عالم الرجولة، فغالبا ما تنتهي عملية الختان بالعبارة التالية: «إنه سعيد لقد أصبح رجلا».[4]

وفي اليوم السابع من هذا الحفل يوزع على كل من حضر الختان مبلغ مالي، وكذلك يوزع على أهل الزوايا والكتاتيب نصيب من المال، وقضاء دين المدينين... وبلغ الغاية في العطاء.[5]

فحفلات الختان لا تختلف عن حفلات العرس، فهي تشببها تماما، بحيث تتزين النساء وترقصن على أنغام الموسيقى ويزغردن[6]، وعليه فإن هذه الحفلات والولائم كانت تتيم حسب قدرة الشخص ومستواه المعيشي، حيث يذكر ابن حمادوش أنم لم أي احتفال لختان ابنه، ولم يعلم أحدا بذلك، حيث قال: «وفي يوم الجمعة لقيت حجاما فأخذته معي إلى داري وظننت أن ابني لا يعرفه فدخلنا إلى الدار وقلت له اصعد مع عمك إلى الطابق العلوي ففر

---

[1] – عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص 166.

[2] – محمد بن رمضان شاوش، المصدر السابق، ص 54.

[3] – عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص 167.

[4] – Nourredine toualbi, la circoncision blessure narcissique ou promotion sociale, SEND, Alger, p122.

[5] – فاتح بلعمري، المرجع السابق، ص 347.

[6] – أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 75.

إلى خارج البيت فقبضته وأمسكته فطهره فلاموه أهل المنزل على ذلك، لأنهم كانوا يريدون إقامة وليمة عرس».[1]

وصفوة القول أن عملية الختام كغيرها من العادات التي لا زالت إلي يومنا هذا تحظى بالاهتمام من طرف العائلات الجزائرية، إذ لا يوازيها في التحضير إلا عرس الزواج، وتجدر الإشارة إلى أن الختان كباقي الطقوس ذات البعد الديني والاجتماعي، إذ يرتبط هذا الطقس بتعاليم الدين الإسلامي من حيث طريقة الاحتفال وتقديم الطعام وختان أطفال العائلات المحتاجة، غير أننا نلاحظ أن هذا الطقس في أيامنا هذه قد ارتبط بشهر رمضان المعظم وخصوصا ليلة السابع والعشرين، وهذا ما يؤكد على تمسك العائلات الجزائرية بالعادات والتقاليد الإسلامية المتوارثة.

رابعا: مراسيم الجنازة (المأتم)

تبدأ رحلة الإنسان انطلاقا من ولادته وتنتهي عند موته لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2]، وللميت حق على أهله بعد الموت إكرامه وإقامة مراسيم للدفن، وتجدر الإشارة إلا أن أهل مدينة الجزائر لم يهملوا هذه المناسبة، إنما عملوا على إحياء مراسيم الجنازة والحزن على الميت وفق بعض الطقوس والعادات.

تبدأ عندما يكون الشخص مريضا، فتساعد النساء النساء، والرجال الرجال مصلين باتجاه الشرق، فإذا لم تنجح هذه المحاولات ويموت الشخص المريض[3] تعرض هذه العادة بالاحتضار.

وبعد موت الميت مباشرة، يجتمع الأهل والأصدقاء ويصدرون أصواتا تمزق القلب، وبعد ذلك يغسل الميت بالماء المعطر مبتدئين بالرجلين، وبعد الوصول إلى الرأس يمسك من الشعر المجمع على الرأس، وبعد الانتهاء من الغسل[4]، يقوم أهله بكفنه بأغطية ثم وضع

[1] – عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 118.

[2] – سورة آل عمران، الآية 185.

[3] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 126.

[4] – تيدنا، المرجع السابق، ص 91.

حايك على جثته، وإحاطته بحزام على مدار كليته، ويحمل الميت في تابوت على أكتاف أربعة من الرجال.[1]

وإذا كانت الوفاة في يوم الجمعة، فإنه يبقى عليها أثناء وقت الصلاة في المسجد ويصلون عليها، وحينئذ يرافق معظم المصلين الجنازة إلى المقبرة، وهم يرتلون صورا من القرآن ويمشون بسرعة حتى لا يتعطل ملك العدل وربما في استقبال روح الميت[2]، ليوضع الميت في قبر ذو شكل مستطيل على جهته اليمنى ورأسه نحو القبلة ويده اليمنى عند أذنه اليمنى التي يرقد عليها، ثم يوارى عليه التراب.[3]

ويوضع حجر عند الرأس وأخرى عند القدم، وكل منهما تكون منقوشة بآيات قرآنية، فيعلم حجر القبور للرجال بخرقة، ويعلم حجر القبور للنساء بباقات من الزهور[4]، تجتمع نساء أقارب الميت، مرتديات لباس خشن ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور، وينتفن شعورهن نائحات مولولات، ويدوم الصياح والنواح على الميت لمدة 7 أيام.[5]

تذهب النسوة في صباح اليوم الموالي لدفن الميت لقضاء الأيام الموالية حول القبر ويتغنين ويتذكرن الخصائص الحسنة للميت، وبعد ذلك كان عليهن أن يذهبن في كل يوم جمعة كجزء من واجب يوم الجمعة الإسلامي، وعلى أفراد البيت من الذكور عدم الحلق لثلاثة أيام بعد الجنازة، ولا يسمح بإيقاد النار في البيت ثلاثة أيام وتلبس النساء الأسود خلال هذه الفترة[6]، وبعدها يتحللن من هذه العادة ما عدا أرملة الرجل ذي المكانة الاجتماعية التي تخلع خواتمها وتلبس ثيابا قديمة وتستمر فترة الحزن لمدة أربعة أشهر عشرة أيام، ويذهبن

[1] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص 90.

[2] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 126.

[3] – بن عتو بلبراوات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص 90.

[4] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 126.

[5] – حسن الوزان، المصدر السابق، ص 258.

[6] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص ص 126–127.

بعدها لحافة البحر حاملات حقائب صغيرة من الأمشاط والبيض المطبوخ ويعطين لأول مار ولا يستطيع الرفض لكي يستطعن الزواج من جديد.[1]

وبعد أربعين يوما من مرور الجنازة يستأنف النحيب لمدة ثلاثة أيام لتذكر الميت، هذه العادة للناس عامة.

وعليه تعد هذه الطقوس الخاصة بالمأتم عادات عقائدية إسلامية، هذا ما جعل سكان مدينة الجزائر متمسكين بها أكثرن ولا تزال بعض مظاهرها إلى يومنا هذا، والجدير بالإشارة وصف المستشرقين الأجانب لمختلف العادات والتقاليد السائدة في مجتمع مدينة الجزائر سواء الأفراح والأحزان، الأكل واللباس ومختلف الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية وصفا دقيقا لهذه الطقوس الغريبة عن مجتمعاتهم بكل مصداقية وموضوعية.

وإذا كان هؤلاء المستشرقين قد أثروا التراث الجزائري بالبحث والدراسة، ورغم ما قدموه من خدمات علمية، إلا أننا نرى بين الفينة والأخرى بعض الأحكام البعيدة في رأينا عن الموضوعية العلمية، خصوصا ما تعلق الأمر بالعادات والقيم ذات الارتباط المباشر بالقرآن والسنة.

[1] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 127.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد تناولنا لموضوع العادات والتقاليد الجزائرية خلال العهد العثماني" مدينة الجزائر أنموذجا"، تمكنا من رصد النتائج التالية:

- الموقع الاستراتيجي للجزائر المطل على البحر الأبيض المتوسط وواجهة للقارة الإفريقية أكسبها تاريخا عريقا وقديما منذ أقدم العصور رشحها أن تكون مركزا للسلطة العثمانية.
- اتخذ مجتمع مدينة الجزائر تركيبا هرميا ونجد في قمة الهرم الطائفة التركية ثم تليها جماعة الكراغلة ثم طبقة الحضر بما فيهم الأندلسيين والأشراف ثم الجالية اليهودية والمسيحية نجد أسفل الهرم جماعة البرانيين ويأتي الزنوج في آخر السلم الاجتماعي، وقد لعب هذا النظام دورا كبيرا في المحافظة على النظام العام للمجتمع وخلق نوع من التمازج والاندماج والتعايش بين مختلف شرائحه رغم اختلافهم مذهبيا وعرقيا.
- تنوع الفئات السكانية في مجتمع مدينة الجزائر ساهم في ظهور وبروز العديد من العادات والتقاليد والذي يعود تاريخه إلى العهد العثماني نتيجة علاقات المصاهرة بين العنصر المحلي والوافدين من المشرق وأوروبا.
- أدت المقاهي والحمامات دورا بالغ الأهمية في إثراء الحياة الاجتماعية والحضارية والاقتصادية، ضف إلى ذلك زيادة الروابط الاجتماعية وتقويتها بين مختلف فئات مجتمع مدينة الجزائر، وأضفت نوعا من التجانس والترابط.
- حظيت الأضرحة بمكانة كبيرة لدى سكان مدينة الجزائر، نظرا للمكانة التي كان يحظى بها الولي من تقدير وتبجيل وقداسة، فقد كانت زيارة الأضرحة من بين العادات اليومية، حيث كانوا يتبركون بالأولياء الصالحين، وقد أصبح لكل مدينة من المدن ولي لصالح لحمايتهم في كل الأمور ومن بين الأولياء الصالحين في مدينة الجزائر عبد الرحمن الثعالبي حامي مدينة الجزائر المحروسة.

- يعتبر اللباس في مدينة الجزائر من العادات والتقاليد المتوارثة على الأتراك والأندلسيين، فكان تأثر المرأة الجزائرية بملابس المرأة الأندلسي واضح على سكان المدينة بصفة خاصة والمجتمع الجزائري بصفة عامة، كما نجد لباس الرجل لم يختلف عن لباس الأتراك العثمانيين، بالإضافة إلى تنوع عادات وتقاليد الطعام بين الأطعمة المحلية والأطعمة الوافدة والتي نتج عنها عامل تأثير وتأثر.
- تعددت وتنوعت المناسبات والاحتفالات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، إلا أنها في مجملها حملت الطابع الديني وبدورها بينت مدى تمسك سكان مدينة الجزائر بالثقافة الإسلامية وتقديس العبادات.
- إن الاحتفالات الدينية والأعياد والمناسبات في الجزائر خلال الفترة لم تتميز على ما كانت عليه سابقا، فالجزائريون احتفلوا بالمولد النبوي الشريف من قبل، كما كانوا يقيمون احتفالات بحلول شهر رمضان، وختم صحيح البخاري والاحتفال بالعيدين، فهذه الاحتفالات لم تكن وليدة الفترة العثمانية، وإنما عادات توارثها الجزائريون أبا عن جد.
- تمارس خلال المناسبات الاجتماعية كالزواج والختان طقوس كالذهاب للحمام وتحضير الولائم والموسيقى، أما بالنسبة للجنائز فتقام أيضا طقوس جنائزية كالغسل والدفن والعدة للمرأة مع وجود بعض البدع كخروج المرأة البيض إلى البحر وتوزيعه لكي يسمح لها بالزواج.
- وعليه فإن العادات والتقاليد اليومية التي راجت في العهد العثماني لازالت متوارثة إلى يومنا هذا، مما يدل على تقبل الجزائري لهذه العادات وتمسكه بها لأنها لا تعارض الدين ولا العرف الجزائري المتوارث منذ القديم.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة لمدينة الجزائر[1]

الملحق رقم (2): خريطة مدينة الجزائر خلال العهد العثماني[2]

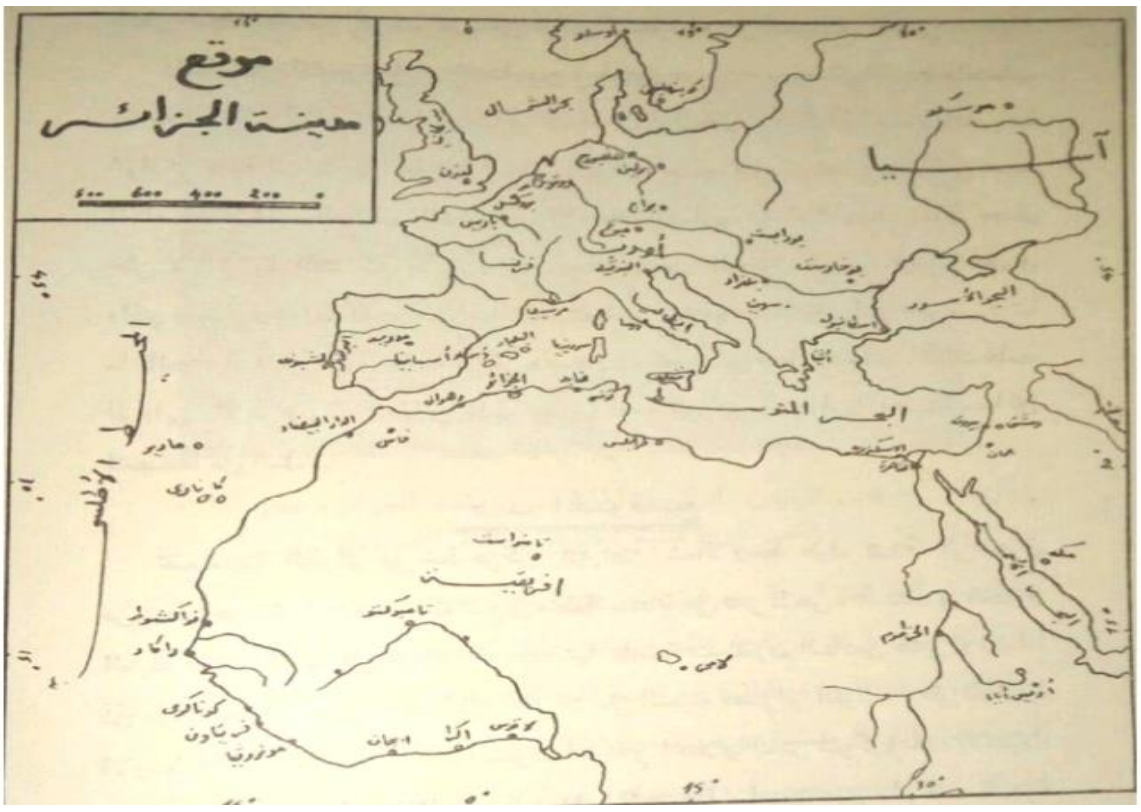

[1] – نصر الدين براهمي، علي تابليت، الجزائري المحمية بالله (تاريخ الجزائر في العهد الحديث)، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص 29.

[2] – عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 34.

الملحق رقم (3): صورة لنماذج من ألبسة لسكان مدينة الجزائر.[1]

الملحق رقم (4): مقهى مغربي بمدينة الجزائر في العهد العثماني[2]

[1] – نصر الدين براهمي، علي تابليت، المرجع السابق، ص 201.

[2] – ليسور ويلد، إيالة الجزائر، تح، تعن تق، تر: محمد الجيلي، ط3، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 05.

قـائمة

المصـادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر

أ-باللغة العربية:

1. أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر؟، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
2. بفايفر سيمون، لمحة تاريخية عن الجزائر، تق، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
3. حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج:2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.
4. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837م)، ط1، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
5. عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م.
6. فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العديد دودو، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1980.
7. القاسمي محمد جمال الدين، حياة البخاري، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دار النفائس، لبنان، 1992.
8. كاثكارت جيمس لاندر، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في الجزائر، تر، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

9. المقري أحمد بن محمد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تر: مصطفى السقا وآخرون، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة العربية ودولة الإمارات، ص 1939.
10. هابنسترايت أو ج، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر، تق، تل: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007.
11. وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م.
12. الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ج12، المغرب، ص 1981.
13. ويلد ليسور، إيالة الجزائر، تح، تعن تق، تر: محمد الجيلي، ط3، دار الأمة، الجزائر، 2010.
14. ويلسن جيمس ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

ب-باللغة الأجنبية:

1. *Haedo, Topographie et histoire général D'Alger, Edition Bouchan, paris, 1998.*

ثانيا: المراجع

أ-باللغة العربية:

1. براهمي نصر الدين، علي تابليت، الجزائري المحمية بالله (تاريخ الجزائر في العهد الحديث)، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.

2. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: منير البعلبكي وأمين فارس، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968.
3. بغلي وهيبة، الأحذية التقليدية الجزائرية، تر: أحمد أمين، ط1، وثائق مركز الأبحاث، الجزائر، 2007.
4. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر القديمة والوسيطة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
5. تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، تر: عميراوي احميدة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
6. الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007.
7. حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1972.
8. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
9. سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، د.ط، تق، تع: عبد القادر زبادية، در القصبة، الجزائر، 2006.
10. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
11. سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، دار البصائر، الجزائر، 2013.
12. سعيدوني ناصر الدين، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

13. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، دار البصائر، الجزائر، ط3، 2012.
14. شاوش محمد رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1995.
15. شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
16. طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830م) من خلال المحاكم الشرعية، دار الشروق للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
17. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
18. عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
19. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
20. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العصر الزياني، ج1، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
21. قشي فاطمة الزهراء، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18م، در القصبة للنشر، الجزائر، د.ت.
22. مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، د.ط، الجزائر، 2007.
23. منديب عبد الغني، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

24. الميلي محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964.

25. النجيبي ابن رزين، فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين- فضالة الإخوان في طيبات الطعام والألوان-، تق، تر: ابن شقرون، مطبعة الرسالة، الرباط، 1981.

26. هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008.

ب-باللغة الأجنبية:

1. *Fanny Colonna, Les Versets de L'invincibilité. permanencr et changements religieux dans L'Algérie Contemporaine. Presse de Fondition Nationale des Sciences Politiques, 1995.*
2. *Saida Ben chikhe-Boulanawar, L'Algérie Par Ses Archives, Casbah Editions, Alger, 2015.*
3. *Nourredine toualbi, la circoncision blessure narcissique ou promotion sociale, SEND, Alger.*

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. بحري أحمد، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م)، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.
2. بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2007-2008.
3. بلعمري فاتح، الحياة الحضارية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة دكتوراه في علوم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016-2017.

4. سراج جيلالي، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية –ضريح سيدي يوسف شريف أنموذجا–، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، إشراف: سعيدي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامع أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014–2015.
5. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني (1519–1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهاد الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2005–2006.
6. محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات (1659–1671م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007–2008.
7. نجاة لعجال، الطقوس الاحتفالية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518–1830م)، دراسة في الاحتفالات الشعبية والدينية، رسالة ماستر في التاريخ، جامعة الوادي، 2013–2014.

رابعا: المجلات

1. بلبراوات بن عتو، نظرات استشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر العثمانية–مدينة الجزائر أنموذجا–، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2010.
2. بن الشيخ حكيم، جوانب من الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال القرن 19م المقاهي والحمامات أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية، ع 11، جامعة يحي فارس، المدية، 2019.
3. بودريعة ياسين، المعتقدات في كرامات الأولياء لمدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع 40، ديسمبر 2013.

4. بورابة لطيفة، ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر –دراسة تاريخية أثرية–، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع14، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، الجزائر، 2013.
5. خذران سمية، نماذج من الأضرحة العثمانية في بعض المدن الجزائرية، مجلة الحوار المتوسطي، معهد الآثار، جامعة الجزائر –2–، الجزائر، 2020/12/21
6. خليل وهيبة، أضرحة وزوايا مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية– جرد وإحصاء مجلة البحوث والدراسات العلمية–، ع1، جامعة يحي بفارس، المدية، 30 جوان 2017.
7. درقاوي منصور، الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأجنبية (العادات والتقاليد أنموذجا)، مجلة العصور، ع34–35، جامعة وهران 1، أفريل/جوان 2017.
8. دويدة نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة جزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع68، الجزائر، 2015.
9. رفاف شهرزاد، التراث اللامادي العثماني في الجزائر –دراسة تاريخية أنثروبولوجية–، حوليات جامعة الجزائر –1–، ع5، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2020/12/31.
10. زيادة نيقولا، مدينة الجزائر، شؤون عربية، مجلة فكرية شهرية تصدر عن جامعة الدول العربية، ع29، جوان 1983
11. صرهودة يوسف، النساء والملكية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني 1787–1837م، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة عنابة، مخبر تاريخ تراث ومجتمع، ع40، ديسمبر 2013.

12. مباركي نادية، دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثمانية، مجلة حوليات التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، ع 4، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011.

خامسا: المعاجم والقواميس

1. إبراهيم رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، تق: فهمي حجازي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2002.
2. ابن محمد أبي القاسم الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، ج1، مكتبة نزار، السعودية.
3. ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1988.
4. مسعود جبران، الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفها الأولى، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

شكر وعرفان
إهداء
قائمة المختصرات
مقدمة 01

الفصل التمهيدي

التعريف الجغرافي والتاريخي لمدينة الجزائر

أولا: الموقع الجغرافي لمدينة الجزائر 07
ثانيا: نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر 08
ثالثا: فئات مجتمع مدينة الجزائر 12
1-**فئة الأتراك العثمانيين** 12
2-**فئة الكراغلة** 13
3-**فئة الحضر** 15
4-**فئة البرانية** 16
أ-البساكرة 17
ب-الجيجلون 17
ج-الأغواطيين 17
د-بني ميزاب 17
هـ-القبائل 18
5-**فئة الدخلاء** 18

أ-الطائفة اليهودية 18
ب-الطائفة المسيحية 19
6-فئة الزنوج 19

الفصل الأول

العادات اليومية

أولا: ارتياد المقاهي والحمامات 22
1-المقاهي 22
2-الحمامات 24
ثانيا: الطعام 26
ثالثا: اللباس 28
1-لباس الرجال 29
2-لباس النساء 31
رابعا: زيارة الأضرحة 33

الفصل الثاني

الاحتفالات الدينية

أولا: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف 38
ثانيا: الاحتفال بحلول شهر رمضان 40
ثالثا: الاحتفال بختم صحيح البخاري 43
رابعا: الاحتفال بالأعياد: عيد الفطر-عيد الأضحى- 45
1-الاحتفال بعيد الفطر 46

2-الاحتفال بعيد الأضحى.....48

الفصل الثالث

المناسبات الاجتماعية

أولا: الزواج.....52
ثانيا: الاحتفال بالمولود الجديد "المزيود".....56
ثالثا: ختان الأطفال (الطهارة).....57
رابعا: مراسيم الجنازة (المأتم).....60
خاتمة.....64
الملاحق.....67
قائمة المصادر والمراجع.....71
فهرس المحتويات.....80
ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

تمحورت دراستنا حول إحدى المواضيع الهامة في التاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة العثمانية، ويتمثل موضوعنا في دراسة العادات والتقاليد، وقبل دراستنا لصلب الموضوع تعرضنا إلى دراسة تاريخ مدينة الجزائر والفئات الاجتماعية الأصلية والوافدة لما لذلك من علاقة مباشرة مع موضوع العادات التي تنوعت بين الديني والاجتماعي.

تركزت إشكالية الموضوع حول مدى انتشار هذه العادات في أوساط المجتمع الجزائري ومدى محافظة هاته العادات على تماسك النسيج الاجتماعي الجزائري.

اتبعنا خطة متوازنة حاولنا فيها إجابة عن الإشكالية المطروحة، مستخدمين في ذلك مجموعة غير قليلة من المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: العادات والتقاليد، الجزائر العثمانية، الاحتفالات، اللباس.

Study summary:

Our study revolved around one of the important topics in the social history of Algeria in the Ottoman period, and our topic is the study of customs and traditions.

The problem of the subject centered on the extent of the spread of these customs among Algerian society and the extent to which these customs maintain the cohesion of the Algerian social fabric.

We followed a balanced plan in which we tried to answer the problem at hand, using a few sources and references.

***Keywords**: customs and traditions, Ottoman Algeria, celebrations, dress*

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): بن شعبان خديجة

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 201057940

الصادرة بتاريخ: 13-08-2017 عن دائرة: أولاد دراج

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 171735098665

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الحدادات والصناعات الجزائرية خلال العهد العثماني مدينة الجزائر انموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 02 جوان 2022

امضاء المعني (ة):

عن رئيس المجلس الشعبي الولائي
وبتفويض منه ولحق رئيس الإدارة المحلية
عريبوت امال

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

العادات والتقاليد الجزائرية خلال العهد العثماني
«مدينة الجزائر انموذجا»

إعداد الطلبة:

1- من شحمان خديجة رقم التسجيل: 171359286 65

2- رقم التسجيل:

القسم: التاريخ **الشعبة:** التاريخ الجزائر الحديث التخصص

إشراف: تاجي إسماعيل **الرتبة:** أستاذ محاضر (أ)

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

أواقعة تاجي

رئيس القسم

جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

د/ بوقرة فلة عبد المالك

رئيس فريق الاختصاص

لتحميل الوثيقة يرجى نسخ الرمز